BOBST LIBRARY
3 1142 01242 5982

NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

DATE DUE

إهداء من فرنسا عن طريق مكتب اليونسكو
في القاهرة ١٩٢٥

أحمد زكي أبو شادي

Abū Shādī, Aḥmad Zakī

Mahā

مها

قصة غرامية شرقية

المطبعة اليلمية - بمصر

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

PJ
7808
.S5
.M3
1926
C.1
Near East
PJ
7808
.S5
.M3
1962
c.1
PJ
7808
.S57
.M3
c.1

حرية . مساواة . اخاء

باسم مهندس الكون الاعظم

محفل (البدر المنير) الموقر

رقم ٢٩٣ بشرق بورسعيد

برعاية المحفل الاكبر الوطنى المصرى

قرر المحفل طبع هذا الكتاب على نفقته نصرة للأدب ، وخدمة للفضيلة والانسانية ، وتطبيقا للمبادىء الماسونية العامة الشريفة ، على أن يخصص دخل هذه الطبعة لفائدة المحفل

المراسلات باسم المحترم رئيس محفل (البدر المنير)
ص . ب . ٢٨٩ بور سعيد

تَوَطِئَة

فاجأني منذ أيام صديقُ المودّة والأدب فضيلةُ الاستاذ عبد القادر عاشور برجاء لم أستطعْ ردَّه بل عددتُهُ من الواجبات التي لن يَرْضى أديبٌ يشعرُ شعوري باغفالها : ذلك أنّه قَصَّ عليَّ القِصة التي هي موضوعُ هذا الكتاب ـ وكانت ظهرتْ في مجلّة (المصوّر) وفاتني الاطّلاعُ عليها ـ ثم سألني أن أضعَها في قالب شعريّ . فتأثّرتُ جدَّ التأثر من سماعها ، ثم اطّلعتُ عليها في مجلة (المصوّر) فزاد تأثُّري ، ورأيتُ موضوعَها ـ الى جانبِ انّه موضوعٌ شعريٌّ ـ جامعاً لصُوَرٍ شتى من الأخلاق والفضائل والعيوبِ الشرقية معاً ، وأيقنتُ أنَّ طَلَبَ صديقي الاستاذ الأديب هو صدى نفسِهِ الشريفة ، ورغبةٌ عزيزة لن تُرَدَّ ، بل لها ـ كما أسلَفْتُ ـ حرمةُ الواجب لدى محبّ الاصلاح الأمين .

وبديهيٌّ أنَّ الشّعرَ الصادقَ لا يُنْظَمُ الاَّ وله باعثٌ من أعماق النّفس ، ويشهدُ الادبُ أنّي ما عرفتُ تسخيرَ قلمي لمجرَّد

النظم في موضوعٍ مقترَحٍ أو عارضٍ . ولكنّي أجيزُ لفتَ نظري الى ما يُسمّى « بالموضوع الشعريّ » ، فانْ كان له هوًى في نفسي طاوعني الشّعر بحنانٍ أو شغفٍ ، والاّ فلا شأن لي به .

وقد رأيتُ في هذه القصّة أساسيا جنايةً من الجنايات الكثيرة الأثيمة التي يُنميها التعصّبُ الطائفي والجهلُ بروح الأديان وحِكْمتِها وبالنفس الانسانية ، كما تنميها الكبرياء الوهميّة والاعتزالُ الشّعبي الذي لا يناسب هذا العَصْرَ الدَّوْلي ، والذي لا أعدُّهُ مُرادفاً لمعنى الكرامة القوميّة الواجبة التقديس .

فثأراً للفضيلةِ المنكوبة وللضّحيةِ البريئة ، وكَسْراً للتّقاليد القاسية التي انقضى عهدُ حِكْمتها ، وبِراً بالانسانية المُعذَّبةِ ، نظمتُ هذه القصّةَ المُشْجيَة ، وربما كانتْ أهونَ ما كتَمَهُ أو ما أهمله التاريخُ من الحوادث الأليمة التي لطّختْ سيرةَ الانسان ؟

بور سعيد في ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٦

أحمد زكي أبو شادي

قِصَّتُهُمَا

الوَصْفُ النَّثْرِيُّ

مها

دعيت (مها) من سحر عينيها وما ٭ لصفت بجمع محاسن لمهاة !

تاريخ ما أقدم التاريخ

اذا انتهى المسافرُ في البحر الاحمر من خليج السويس تستقبله أمواجُ خليج العقبة المتلاطمة ، حتى اذا اجتاز هذا الخليجَ الثاني بدا له حصنٌ قديمٌ متهدّمٌ ، يرجع تاريخ بنائه الى القرون الوسطى . حصنٌ يزيد في سواد حجارته وحشةُ ذلك المكان المنقطع عن المدنية ، وما يحوطه من بيوت حقيرة مشيدة بالطين والحجارة السوداء ، وما يكتنفه من أشجار نخيل هي وحدها أثرٌ لرحمة الطبيعة لتلك الفيافي المجدبة الجرداء !

ذلك الحصنُ هو (العقبة) . ولعمري الحقُّ لقد أنصف من أسماه (العقبة) ، امّا لوقوف تلك الجبال الصّخرية عقبةً في سبيل المسافرين ، وامّا لوقوفها عقبةً في سبيل الفاتحين وفي سبيل المدنية .

هنالك في سفح تلك الجبال الشاهقة ، وفي طرف ذلك الخليج الذي يشكو كلُّ شيء فيه حتى أسماكه وحيتانه العزلةَ والوحدةَ ، حطّتْ الجيوشُ الانجليزية والعربية رحالَها ، وأقامت ثَمَّ معسكراً

لها ، تسير منه الذخائر والأقوات الى المحاربين في براري سورية وفيافي الحجاز .

هنالك ، في عام ١٩١٧ ، كانت ادارةُ المهمّات والمؤن موكولةً الى ضابطٍ انجليزيّ برتبة (كابتن) يُدْعى (هربفز) . فكان عليه أن يمدَّ المحاربين والمحالفين من الأعراب النازلين الى جانب الجيش الانجليزي بالمؤن والذخائر في نظير أوامر كتابية تصدر اليه من القيادة العامة . ولذلك كان يكثر من مخالطة القبائل العربية المحاربة اكثاراً سهل عليه تعلّم لغتهم ومعرفةَ طباعهم وعاداتهم .

ومن القبائل التي انضمّتْ الى الثورة العربية في الحرب الكونية وأبلت بلاءً حسناً ـ سواءٌ أكان في ميادين القتال أم في قفو الآثار أو هدي الفصائل والقوافل الى معابر تلك الصحاري والقفار ـ قبيلةُ (**الحويطات**) ، المشهور عنها (عدا الشجاعة والاقدام) حبُّ الغزو وكتمان الحفيظة والمطالبة بالثأر والغضب للعرض قبل المال .

وكان لزعيم من زعمائهم فتاةٌ لا تتجاوز العشرين ربيعاً ، فاحمة الشعر ، عريضة الجبين ، معتدلة القوام ، بضّة الجسم ، براقة العينين ، كحلاء واسعة الحدقتين . لذلك أطلق عليها أبواها اسم (**صرها**) .

وكانت كسائر بنات بلادها سمراء اللون قد طبعت على وجهها الشمسُ أثراً جذّاباً خلاباً .

كانت (مرها) تقوم كبنات الأعراب بتهيئة الطعام لأبويها ، وتُعنى بتربية أخويها الصغيرين التربيـة البدوية ، ولم تكن تمنعها نعومةُ بشرتها وضعفُ ماحولها من مشاركة رجال قبيلتها في غزواتهم وروحاتهم وغدواتهم .

ضربت القبيلةُ مضاربَها في سفح جبال العقبة . وكان اذا دعا أهلَها داعي الواجب فذهبوا طلباً للرزق أو للقيام بمهمة استكشاف أو هدي فصيلة ، ظلّت (مرها) الى جانب أخويها الصغيرين تقوم بحاجاتهما ، وتسهر على راحتهما ، فاذا أعوزها الزّادُ ذهبت الى الكابتن (هربفز) بوثيقةٍ من قيادة الجيش فيعطيها ما تحتاج اليه .

طال تردّدُ الفتاة على الكابتن ، فلم يقو على ردّ سحر تينك العينين النجلاوين ، فعلق في شباكهما ، وهام بحبّ الفتاة هياماً زاده انقطاعُ ذلك الجندي عن دون (مرها) من بنات جنسها ! فتغلغل هواها في عظامه ، وتملّك لُبّه ، حتى منعه طيب الطّعام والمنام وحتى بدا عليه التقصيرُ في عمله . وخشي عليه أصدقاؤه من عواقب ذلك

الحبّ الذي لم يكونوا راجين له عاقبةً محمودة ، لاختلاف الدين والجنسية بين الرجل والفتاة ، وتمسك العربيّ بتقاليده وعاداته وايثاره أبناءه جلدته على ما بهم من فقرٍ وشظفِ عيشٍ .

ولم يكن الكابتن (جريفز) ليؤمل أن يتخذ الفتاةَ خليلةً له ، وهي كسائر بنات البدو حصانٌ ذاتُ عفاف وصون ، تبذل دمَها دون عرضِها ، وتمنع أيّاً كان أن يمسّ شرفَها المصون .

ولم تكن تلك الفتاةُ بأقلّ ميلاً الى (جريفز) منه اليها . ولكنها كانت تصبر النفسَ ، وتكتم الهوى ، لعلمها بما يحول دون اجتماعهما من عقبات أقوى واكأد من جبال (العقبة) نفسها .

تراخى الزمنُ بين الحبيبين وزاد في وجدهما وغرامهما ، فأصبحا لا يفكّران الا في حبهما البريء ، وأصبح الهوى بينهما كلّ ما فيهما ، حتى اذا لم يعد للكابتن (جريفز) من صبرٍ ولا منصرفٍ عن هواه ، تشجع وتجلد ، وعقد العزيمة على مفاتحة والد الفتاة بأمر حبه ، وعلى أن يخطبها منه لنفسه .

أفضى بما جال في صدره الى حبيبته ، فنهته عن مكاشفة والدها بالامر حذرَ أن يرحل بها الى مكانٍ ناءٍ ، وذكّرته بتقاليد العرب وعاداتهم القومية التي لا ينصرفون عنها في أيّ حالٍ من الاحوال .

حدثته بحديث (قيس) الملوّح و (ليلى) العامرية، وقصَّتْ عليه ما ترويه عن (جميل) و (بثينة)، فما ازداد الا تشبثاً برأيه، وما كانت الصعوبات التي صورتها له حبيبتهُ لتثنيه عن عزيمته.

ذهب (جريفز) الى والد الفتاة مثقلاً بالهدايا والتحف. فحياه، فرحَّب به وأهّل. وأفضى الضابطُ الى ذلك الزعيم البدويّ بما يجول في صدره وطلب اليه يدَ ابنته، آخذاً على نفسه ان يعتنق الاسلامَ وان يهجر وطنه، ويترك بعد الحرب جيشَه ويلتحق بالقبيلة ويعيشَ بين ظهرانيها كفرد من ابناء الزعيم: يشاطره نعيمه وبؤسه، ويشاركه في حروبه وغزواته.

سكت الاعرابيُّ مطرقاً ينكت الارض بعصاه، حتى اذا اكمل الانجليزيُّ حديثَه نظر اليه نظرةً ضمَّنها ما كان يفيضُ في نفسه من غضبٍ مكتومٍ، وغيظٍ مكظومٍ، وحقدٍ مدفونٍ.

ونظر الانجليزيُّ الى وجهه فاقشعرَّ جسمهُ ـ وهو الجنديُّ الذي تعوَّدَ مقارعةَ الابطالِ وملاقاةَ الاهوال ـ من عينين كأنهما جمرتا نارٍ ووجهٍ كالحٍ كأنه حجرٌ من جبال (العقبة)!

ـ أمثلك أيها الاجنبيُّ يجرؤ على مكاشفتي بأمرٍ فيه مساسٌ

بعرضي المصون ؟ أمثلك يا (هربفز) يجسر - وهو في خيمتي - أن يطلب اليّ سلبَ كنزي واستلالَ روحي من بين جنبيّ ؟ ولكنك ميمونُ الطالع لأنك كاشفتني بذلك وأنتَ جاري وضيفي ، فاغربْ عني الى معسكرك ... اغربْ قبل أن ينسيني غضبي واجبَ الضيافة وحقوقَ الجار ... والويل لك اذا رأيتك في سبيلي خارج هذه الخيمة ... !

خرج الكابتن (هربفز) يتعثّر في أذيال الخيبة والفشل ، محموماً لا يعي ما يجب عليه أن يعمله ، ولا يقوى على جمع أفكاره الشاردة ، ليجدَ سبيلاً الى الخلاص من ذلك المأزق .

وبينما هو يسير على غير هُدًى جهةَ البحر ، كأنه مدفوع بغريزة طبيعية الى اليأس ، فلا تتحار ، اذا بصوتٍ رخيمٍ رقص له قلبُه يناديه ، بل يهمسُ وراءه همساً :

- (هربفز) ... (هربفز) ...

واذا (بمبهانة) شاردة تجري وراءه متعبةً تصعّد الانفاس ! فاستقبلها بين ذراعيه ، سعيداً في دقيقته ، غيرَ حاسبٍ لعواقب تلك اللحظة حساباً .

أجل ... ويح المحبين ! تنسيهم سكرةُ الحبّ متاعبَ الحياة

وأخطارَها ، كما ينسى العليلُ المدنفُ ظلمةَ قبره ووحشةَ انفصال رُوحِهِ عن جسده !

قالت الفتاة :

ـ سمعتُ حديثَك وجوابَ والدي ، وقد كنتُ مختبئةً وراء سجوف الخيمة ارقب ما يجري . اني اعرفُ أبي حقَّ المعرفة : فهو لا يثنيه عن عزمه وعدٌ ولا وعيدٌ ، ولا دموعٌ ، ولا توسلاتٌ ، ولا ضراعة . . . انني يا (هربنز) بك ولهى . . . كتمتُ الحبَّ أشهراً وأياماً . . . حتى كاد يودي جَلَدي بحياتي . . . انني ابتلعتُ جمرَه ، وبُليت بأواره . فكفاني ما قاسيتُ . . . وأمَّا ولابدَّ لنا أن نموت ، فليكن موتُنا بالجوع أو بالحديد أو بالنار مجتمعين متآلفين خيراً من أن نموت شتيتين بعيدين . . . . فالى الفرار ! الى الهرب من هذا الوادي . . . وادى الموت . . ! انني عارفة بوعثِهِ ، عالمةٌ بما سيعترضنا من خطر موتٍ محقَّقٍ من الوحوش الضارية ، من الجوع والعطش ، من العدوَّين أهلي وقومك ، وهم سيهدرون في الغداة دمك لعدّهم اياك جندياً فاراً من واجبه . . . ولكن . . . لنمتْ معاً . . . لنلتمسْ لنا وراء هذه الدنيا المملوءة بالضغائن والاحن ، المفعمة بالويلات والمصائب ، دنيا أخرى نعيش فيها متحدين متآلفين

سعيدين ، لا خوف علينا من الفراق . . . وماذا تنفع الدنيا بعد فراق الاليف الامين . . .؟

قالت الفتاة هذا وكأنها قد بذلت في قولها مجهوداً كبيراً ، فارتمت الى الارض معولة باكية ، تئن أنينَ المجنون الموجع ، لما هاج فيها من عواطف متناقضة ، في الواحدة منها مهلكة للجسم .

وارتمى فوقها (هربفز) يمزج دموعه بدموعها وقد أنساه حبه واجبَ الجندي تحت سلاحه . فاحتملها بين ذراعيه كما تحتمل الامُ الولهى وحيدها المريض ، وسار عدواً الى خيمته . وباسرع من وميض البرق احتمل بندقيته ومسدسه ، وملأ آنيتين بما يحتمله الجنودُ من الماء ، وناول حبيبته صرةً تحتوي على ماتيسَّر من المأكل . وألقى نظرةً أخيرةً على خيمته التي دفن على بابها شرفَ الجندية ، وجرى مسرعاً الى مدخل الوادي ، تهديه الى طريقه (مرهانة) النافرة ، التي سلكت به معابرَ تعرفها فوق الصخور ، لتضلل قومها — وقد علمت انهم سيجدون في لحاقهما — ولتخفيَ عنهم آثارَها . . .

***

جلس الزعيمُ بعد خروج (هربفز) من حضرته جُلوسَ الأرقم يرصد فريسته على قارعة الطريق ، كئيباً ، حزيناً ، وقد

كسرت كلماتُ الانجليزيّ من كبريائه وعزّة نفسه ، حتى استرسل به الحقدُ والغضبُ الى سكرةٍ أشبه بسبات النوم العميق وظلّ رابضاً هكذا في خيمته ساعات ، ولم يفق من سكرته الاّ على أصوات بكاء ممزوجة بزمجرةٍ شديدةٍ تتصاعد من خيمة النساء ، فأحسّ بمصيبةٍ داهمةٍ ، وقفز مسرعاً الى الخارج . . .

درى ، وقد افتقد فتاته ، انها اطلقت للريح ساقيها . فصاح برجاله انْ هبُّوا الى الاخذ بالثأر . . .

وما هي الا ثوانٍ حتى ثار القومُ رجالاً وفتياناً ونساءً . ومشوا وقد تقلّدوا أسلحتَهم الى المعسكر الانجليزيّ . . فاعترضهم الحارسُ واذا به يتخبط بدمه من ضربة سيف بادره بها الزعيمُ ! وكأنّ منظر الدم المسفوك ردّ اليه شيئاً من صوابه ، فالتفت الى رجاله واستوقفهم طالباً منهم أن يتمهلوا ريثما يقابل قائدَ المعسكر ثم يرى رأيَه في الأمر . . .

***

عاد الزعيمُ من خيمة القائد تتبعهُ فصيلةٌ من الفرسان الانجليز ، ثم تخير عشرةً من أشد رجاله وساروا جميعاً يقتفون في ظلام ذلك الليل أثرَ الحبيبين الهاربين .

ولا أدري أيّ الاثنين كان أكثر حقداً على (هربفز) المسكين

أهو والد الفتاة وقد انتزعت منه (صهباء) ، ام قائد الفصيلة الانجليزية وهو في نظره جندي فارٌ خان وطنه ومليكه وداس واجبه جرياً وراء اعرابية ؟ !

***

... وبلغت بنا القافلةُ في طريقنا من (الكويرة) الى (العقبة) عينَ ماء كان يعلمنا الدليلُ بلقياها منذ الصباح . فارتمينا عن ظهور الجياد وقد حمدنا الله وتنفسنا الصعداء ، ننقع غلةَ الظمأ ونبرد وجوهنا من حرّ تلك الهاجرة . وجلسنا الى تلك الصخور المحرقة ريثما تشرب الجيادُ وتأخذ بعضَ الراحة .

واذا بصوتٍ خافتٍ ضعيفٍ حمله الينا الرّيحُ يطلب النجدةَ والمعونةَ ، فالتفتنا مندهشين عندما تبينا أنّ الصوت صوتُ امرأة . .

واتجهنا صُعُداً في الجبل الأجرد الى مصدر الصوت ، واذا بفتاة لم تقعْ العينُ على أجمل منها جالسة وعلى ركبتيها رأسُ ضابط انجليزي ، وقد نشر الموتُ على وجهه اصفرارَه ، وطبعه بطابعه ، واذا بها هي تجيلُ لحظين لاقرارَ لهما ولا تقرأ فيها العينُ الا آثار الألم النفسي واللّوعة . . والجنون . !

ثار ثائرُ الأعراب لرؤيتهم بدويةً وعلى ركبتيها رأسُ

أجنبي . . . لكنَّ قائد القافلة نظر اليهم شزراً وقال :

— يجب ألاَّ تروا في هذا التعس الا مدنفاً ملهوفاً يجب أن يغاث، وذلك حقٌّ من حقوق الجار .

وأومأ الى طبيب القافلة فأنشقَ الانجليزيَّ قليلاً من دواء يحتمله . فأفاق ونظر الى (مرها) نظرةً أودعها حياته وحبَّه ، وفاضتْ روحهُ صاعدةً الى خالقها . . .

واذا بالفتاة انتزعتْ بأسرع من ارتداد الهدب الى الهدب مسدّسَ الانجليزيّ من جنبه ، وأفرغت منه رصاصةً في ثديها الأيسر، وانقلبت على حبيبها تبله ببقايا دموعها، وتخضبه بسيل من دمائها الجارية . . .

***

المسافرُ من (العقبة) الى (معان) ، السالكُ اليها السبيلَ الوحيد وهو ذلك الوادي المظلم ، اذا بلغ الى تلك العين فارتوى من مائها ، ثم سار صاعداً الى الأكمة التي تشرف عليها ، يجد فوقَ بقعة من الحصى الاسود خشبةً سوداء منصوبةً كتبَ عليها بالانجليزيّة وبالمداد الأبيض ما تعريبهُ :

« مضجع الفارّ من واجبه الكابتن (البرت جريفز) والفتاة

(صهرها) الهاربة من خدر أبويها » ...

لعمرك لا أدري أيُّ أمرٌ على نفس القاريء والمسافر: أموت الحبيبين تلك الميتة الفظيعة، أم وَقْعُ هذه الكتابة التي لا تزال تلحق اهانةً بريئين هجرا ظلم العالم واجتمعا في الأبدية!

حبيب جاماتي

قِصَّتُهَا

الوَصْفُ الشِّعْرِيُّ

مها

قصة غرامية شرقية

النشيد الاول

هاتِ الحديثَ عن الضَّحيَّةِ هاتِ
وخُذْ الشَّكاةَ الى الزَّمانِ الآتي
رُوحي فداهُ الحُبّ ! أسمعْني ! أعِدْ !
واسمعْ أنينَ الحبّ في أبياتي
أسقيتَني مُرَّ العذابِ بسيرةٍ
عادت بثارِ العشقِ في آياتي

ذُقْ نارَها مثلي بشعرِ عواطفي
وبمُتْرَعِ الجاماتِ يا (جاماتى[1])
الله في نارٍ أثرتَ كمينَها
اللهَ في الأنّاتِ والآهاتِ !

* * *

كانت فتاةً في جمالٍ فاتنٍ
وكذا الجمالُ أعزُّهُ بفتاةِ
دُعِيتْ (صرها) من سحرِ عينيها وما
نُصِفَتْ بجمعِ محاسنِ لمهاةِ[2]
فالحسنُ أعظمُ من مَنالِ مُشبِّهٍ
يَبْنِي المُنى ويُهدِّمُ الدُّولاتِ !
سمراءُ ردَّدَتْ الطبيعةُ لونَها
في كلِّ جذّابِ المحاسنِ عاتِ !

---

(١) الجامات جمع الجام أي الكأس . و (جاماتي) هو الأديب حبيب جاماتي راوي قصة (مها) في مجلة (المصور) باعتبارها مأساة واقعية .
(٢) قال شكسبير : أي شعر يفوق عيني المرأة في السحر ؟!

وكأنّما شمسُ الأصيل بغَيْرَةٍ
سرقت ذُرورَ جمالها كأداةِ [1] !
وكأنّما الصّحراءُ حيث مُقامُها
بمجدَّدِ الحسناتِ رَهْنُ صلاةِ !
وكأنّما هذي الكواكب كلُّها
خُلقتْ لها ، فزَهَتْ بِرِّ مؤاتِ !
هيفاءُ ، عادلةُ القوام ، لشعرها
يُزْجَى حنينُ الشّعْرِ والمُهَجاتِ
ما اسودَّ إلاّ والسّوادُ مُسوَدّ
وكأنّما فيه شُعاعُ حياةِ !
وجبينُها الدّاعي لقُبلةِ عاشقٍ
ضاحٍ من القُبُلاتِ في اللَّمَحاتِ
ولها من اللَّحْظَيْنِ عُدّةُ مالكٍ
دُوَلَ القلوب بدائمِ الغزَواتِ
كحلاءُ ظلّلَ ناظريْها رحمةٌ
بالخاضعين لسطوةِ النّظراتِ !

(١) أي كأداة لتجميل نفسها تشبها بتلك الفتاة .

وَسِعَا جمالَ الكونِ حين تدفقا
بالنُّورِ والالهامِ والآياتِ !

***

كانتْ حياةَ قبيلةٍ مشهورة
واميرةَ الفتيانِ والفتياتِ
بنتَ الزَّعيم ، وَمُسْتَمَدَّ فخارِهِ
نَسَبُ (الحويطاتِ) الشريفِ العاتي
ثارتْ قبيلتُها كثورةِ حسنها
وكذا القبائلُ معهدُ الثَّوْراتِ
والحربُ ملءُ الكونِ ليس يحدُّها
حَدٌّ من النيرانِ واللَّفحاتِ
فاستبسلتْ بشجاعةٍ تذكي الوغى
للنَّصْرِ بين مفاوزٍ وفلاةِ
حتى أُتيحَ لها بقاءُ خيامها
في مضربٍ ناءٍ عن الهجماتِ
ولو أنَّ كلَّ نسائها إمَّا دعا
داعي الوغى كالأُسْدِ لا الظَّبيات !

ضربتْ مضاربَها بسفح مُمَرَّدٍ

بل مُوحِشٍ مستجمعٍ (العقبات)[١]

سمَّوْه وَصْفاً من مظاهرِ عزلةٍ

ومشاهدٍ للرَّوْعِ مشتجراتِ[٢]

لولا مياهٌ (للخليج)[٣] وبعضُ ما

يُبدي النخيلُ لعُدَّ قَبْرَ مَوَاتِ !

تلقى الطبيعةَ فيه صُورةَ قسوةٍ

جمعتْ بمحضِ الصمتِ عسفَ قُساةِ !

وتكادُ تسمعُ من مُنَوَّعِ خَلْقِها

وجمادِها شكوى ، وأيَّ شكاةِ !

حتى حجارة (مصنعها)[٤] بسوادِها

لَبِسَتْ حِدادَ تَعاسةٍ ووفاةِ !

---

(١) يشير الى مجمع جبال (العقبة) .

(٢) مشتجرات : مختلفات .

(٣) و (٤) خليج العقبة وحصنها .

حتى المساكن في حقارةِ طينِها
مُثُلُ الشقاوة بِنَّ[1] مضطرباتِ
وقفتْ أمامَ الفاتحين بعزْمةٍ
وأمامَ أهلِ النُّورِ بالظُّلُماتِ
وكأنَّما ذاك الشقاء وما وَعى
ذاك البلاء مَحاهُ حُسْنُ فتاةِ !

(١) بنّ : ظهرن

النشيد الثانى

والآن يخفقُ بالعذاب فؤادي
وأخطُّ بالدمِّ ، فالحياةُ مدادي !
في وصف سيرةِ من أحبَّتْ خُلْسَةً
وتكتُّمُ العُشّاقِ أيُّ جهادِ !
عرفتْ (مرها) عرفانَ ودٍّ لا هوًى
الضابطَ المحبوبَ للأجنادِ
كان الأمينَ على ذخائرِ جيشه
كان الرقيبَ على عزيزِ الزّادِ
الجندُ أعطوْهُ وفاءَ قلوبهم
أتراهُ تأباه فتاةُ الوادي ؟ !
متصرّفٌ في الزّادِ يُنقذُ جائعًا
فإذا به متصرّفٌ بودادِ
مرْأى التّحالُفِ بين جُنْدٍ فاتحٍ
للمُبْحرين [1] وجيشِ بَدْوٍ هادِ

(١) المبحرين : البريطانيين ، نظرا لسلطتهم البحرية .

نُسِيَتْ به حتى الفوارق في اللُّغى
وفوارقِ الأديان والأضدادِ
مَثَلُ التَّسامُحِ والتَّعاوُنِ في الوَغى
إنَّ التَّعاونَ للرجاءِ الحادي
ودُعِي (هِرِيفِرَ)، ليتهم في نَصْفَةٍ[1]
سَمَّوْه من أسْمَى الفداءِ لفادِ
متلألئٌ بخلالِهِ الحسناءِ لا
ينفكُّ عن بِشْرٍ وعن إسعادِ
فأحبَّها مستمرئًا تردادَها
والحبُّ تغذوه مُنَى التَّردادِ!
كالزَّهرِ ينميهِ النَّدَى بتكرُّرٍ
وحَنَانُ نُورِ الشمسِ بالإمدادِ!
لكنَّه أخْفَى دفينَ غرامِهِ
لو كان ما يُخْفَى الغرامُ البادِي!

* * *

(٢) النصفة : الانصاف والعدل .

مها وجريفز

اللقاء

فأحبها مستمرئاً ترددها ✻ والحب تغذوه منى الترداد !

دَبَّ الغرامُ بِلُبِّـهِ وعظـامِهِ
حتى حَمَاهُ غذًى [1] وطيبَ رقادِ
فبدتْ عليـه عوارضٌ لسـقامِهِ
ومظـاهرُ التقصـيرِ للنُّقّـادِ
فارتاع مِنْ عثراتهِ خِـلاّنُهُ
وتوجّسوا من حُبِّـهِ المـتمادي
لمحـوا العوائقَ في سبيـلِ رجائهِ
كسلاسلِ الأجبـالِ والأطوادِ
ما بين دِينٍ سيّدٍ في حكمِهِ
وتعصُّبٍ للجنسِ والميـلادِ
وتمسُّكِ العـربيِّ رغمَ جـديدهِ
بعوائدِ الأمس البعيدِ البـادي [2]
يأبى الجنيبَ مُصَاهِراً مَهما اعْتَلَى
وكأنّه نَوْعٌ من الالحـادِ !
وكذاك لم يُرْضِ المحبَّ بوجدِهِ
أن يستذلَّ جمالهَا المتهـادي

(١) مقصور غذاء . وحمى بمعنى منع . (٢) المنتسب للبادية .

أو أن ينـالَ عفافَها بجُنُونِهِ
لو أنها باعتْـه بيـعَ كسادِ
خُلِقَتْ من الشَّرف المعزَّزِ مثلما
خُلِقَتْ من الحسنِ السريِّ الهادي!

***

ومضى الزَّمانُ فزاد في وجديْهما
متراخياً ، ووفاقُهُ كعنادِ!
يدعو بغفْلَتِهِ القلُوبَ الى الهوى
بينا يظلُّ كذاكَ بالمرصادِ!
فسلامُهُ حَرْبٌ ، وغايةُ حلمِهِ
بطشٌ ، وكلُّ سخائِهِ لنفادِ!
ذاقا عذابَ الحبِّ في ألوانِهِ
وهو الصديقُ ، فكيف وهو مُعَادِ؟!
ونجرَّعا غُصَصاً وما باحا بها
كالنار قد حُجبتْ بستر رمادِ
كُتِمَا الهوى كَتْمَ اللسان ، وما الهوى
إلاَّ لُغَىَ الأرواح لا الأجسادِ

حتى إذا ما الجسمُ فاضَ بوحيِهِ
أفضى به بتبـــــادُلٍ وتَنَادِ
وكذلك اجتمعا اجتماعَ صراحةٍ
وتبادلا معنى الغرامِ الصَّادي
ولربّما كان التكتُّمُ مثلها[1]
عَذْبًا وأبلغَ من فصيح (الضّادِ)!
لغةُ العواطفِ في إشارةِ عاشقٍ
أجلى من التّبيانِ والإنشادِ!
إنّ العيونَ تقولُ في نظراتها
ما قد يفوتُ هُدَى خطيبِ النّادي!
ما العاشقان المخلصان كلاهما
في الصَّمْتِ أو في الجهرِ غيرَ فؤادِ!

***

وأخيراً اعتزمَ المُحبُّ خُطُوبةً
لفتاتِهِ من أهلها الأمجادِ
فاذا بها تنهاهُ نهيَ مشورةٍ
وتعدُّ هذا العزمَ غيرَ سَدَادِ

(١) أي مثل الصراحة .

ذكرتْ له الحرصَ الشديدَ لقومِها
رغمَ الظُّروفِ على حِمَى الأولادِ
يتهاربونَ من الدَّخيل وفخرُهُمْ
حرْصٌ على العاداتِ والأعيادِ
لاينثنون على المدى من حفْظِها
مهما قسا دَهْرٌ وأسرفَ عادِ
وتحدَّثتْ بحديثِ (قيسٍ) تائهًا
شغَفًا (بليلى) في سحيقِ بوَادِ
وعن الذي لاقى (جَميلٌ) مثلَه
وكذا (بثَينةَ) من أذًى وعِنادِ
لكنّها أذكتْ حرارةَ قلبِه
فأطاع دَفْعَ لهيبِهِ المزدادِ
نُصْحُ الهوى نُصْحٌ يقودُ الى الردى
مَنْ ذا الذي ألفاهُ طبٌّ رشادِ ؟!

***

فمضى (جريفز) مثقلاً بنفائسٍ
لأبي الفتاةِ ، مجملاً بودادِ
حيًّا فرحَّبَ باسماً لقدومهِ
طَرِبًا وأهلَّ في سُرورٍ جَوَادِ
والعُرْبُ شيمتُهُمْ محبةُ ضيفهمْ
يلقونه بالبشرِ والإرفادِ
فتشجَّع العاني المحبُّ وباح في
أمل الغريق رأى مروءةَ فادِ
ما عاقه (الاسلامُ) ، فهو يعدّه
ديناً يقدّسهُ ليوم مَعادِ
ما عاقه عيشُ البداوة ، فالهوى
يحدو اليه ، ونعم ذاك الحادي
سيعيش - إنْ سمحَ الزّعيمُ - كواحدٍ
مِن أهلهِ أو واحدِ الأجنادِ
أبداً يشاطرُهُ السلامَ أو الوغى
وكذاك حظَّ البؤس والاسعادِ
ويفوت مسقطَ رأسه ، مستوطناً
لخيامهِ ، ومجمعاً لأيادِ

ويكون عوناً يُرْتجى، ومُصاهِراً
في طَلْعَةِ الأنصارِ والأوداد (١)

* * *

أفضى بما في صدره لم يدّخرْ
سِرّاً، فكان كقادحٍ لزنادِ!
ما كاد يفرغ والسلامُ مظلّل
حتى بدا شَرَرُ المغيظِ العادي!
فاذا العصا بيديْهِ حيّةُ فانكٍ
وبوجههِ مُستَجْمعُ الأحقادِ!
ورنا اليه بنظرةٍ مسمومةٍ
من جمرتين بكالحٍ وقّادِ!
ملأتْ مُحَدّثَهُ الشجاعَ بطفْرَةٍ
جَزَعاً، وفتّتْ منه في الأعضادِ
قال الزّعيمُ: «أصار مثلكَ هكذا
ـ أنتَ الدخيلُ ـ يمسُّ سِرَّ فؤادي
عرضي المصونُ ـ فكيف تجسُرُ مُلقيا
هذا الحديثَ كمن يودُّ حدادي؟!

(١) الأوداد: المحبون.

الطائفة

أنفى بما في صدره لم يدّخر ٭ سراً فكان كقادح لزناد !

أبخيمتي تلهو وتُعْلنُ هكذا
سَلْبي لكنزي وانثلالَ[1] عمادي؟!
فاذهبْ وحسبكَ أن هُديتَ مكاشفاً
بضيافتي، فنجوتَ من إرعادي!
وكذاكَ مِنْ حقّ الجوارِ تحملي
بالصبرِ غايةَ ما يروم أعادِ!
فارحلْ فقد أنسى الجوارَ وما اقتضى
حَقُّ الضيافةِ، وانْجُ من إيعادي
فالوَيل إنْ لاقيتني ياخاسرٌ
فلقد غدوتَ اليومَ من أضدادي!»
كلماتُ من حَسِبَ الشهامةَ حِسَّهُ
وهي الجهالة لا عزيزُ مبادي
حكمتْ بقتلِ فتىً تُجَلُّ صفاتُهُ
وقضت على أملِ الصّبا المتمادي
فمضى ذليلاً عاثراً في خيبةٍ
يلقى الوجودَ مكفَّناً بسوادِ

(١) انثلال: تهدم.

وكأنه المحمومُ لا يدري الذي
يرجو ، ويمشي دونَ نُورِ هادِ
يمضي به حُكمُ الغريزةِ للرَّدى
فيسير كالمأسورِ والمنقادِ
وكأنما في الانتحار حياتُهُ
وكأنما في البحر ذُخْرُ وِدادِ !
ما أظلمَ الانسانَ نحو شقيقهِ
حتى تميَّزَ عنه عطفُ جمادِ !

بين الموت والحياة !

وكأنما في الانتحار حياته ٭ وكأنما في البحر ذخر وداد !

النشيد الثالث

أرأيتَ كيف نُساقُ للآلامِ؟!
كيف البريءُ يُلامُ شرَّ ملامِ؟!
كيف الشُّجاعُ يُعَدُّ أحقرَ طامعٍ؟!
كيف الشَّريفُ يُداسُ بالأقدامِ؟!
كيف العوائدُ عن قبيحِ ضلالةٍ
تطغى على الأحلامِ والأفهامِ؟!
تأبى شريفَ الجُهْدِ والشَّرَفَ الذي
يزدانُ بالاحسانِ والإقدامِ!
للأمسِ - لاليومِ - كلُّ حنينها
ولو أنَّ فخرَ الامسِ للأصنامِ!
بئستْ مَضَحّيةَ النُّفوسِ لوهمِها
بئستْ ملطّخةَ الفُهُومِ [1] بذامِ!

* * *

(١) الفهوم : الافهام .

ولّى تجاهَ البَحْرِ مقتولَ المُنَى
ينهدُّ منْ جُرْحِ الفؤادِ الدّامي!
فاذا بصوتٍ خلفه برخامةٍ
أحياه، ثم حَمَاهُ من إعدامِ (١)
رَقَصَ الفؤادُ له شجيّاً مثلما
فرحَ الطَّريدُ لمُنْقِذٍ بَسَّامِ
همستْ: «جريفز...! أيْ جريفزُ...!» ياله
لحنٌ شهيٌّ عن شهيّ غرامِ
وعدَتْ كشاردةِ المهاةِ وأقبلتْ
في فرطِ إعياءٍ برميةِ رامِ!
فاستقبلتْها جاذباتُ حنانِهِ
بحمى ذراعيْهِ وبرّ ضِمَامِ (٢)
كانت هنيهةَ مَبْعَثٍ لسعادةٍ
ورضى الهوى ومزيلةَ الأسقامِ
لم يحسبا فيها حسابَ عواقبٍ
لمكائدِ الانسانِ والأيامِ

(١) اعدام: بؤس.
(٢) الضمام: مايضم به الجرح.

هي سكرةٌ للعاشقين تناسيا
أو أُنسيا فيها دفينَ كَلاَمِ[1]
ومتاعبَ الدّنيا اللئيمةِ كلّها
مثلَ العليلِ يُغَرُّ عند منامِ
ولو أنّما طُعِنا لَمَا شعرَا بما
طُعنا، فما جزعا لضرب حُسامِ!
للحُبِّ آونةٌ تُخَالُ كأنّها
عُمْرٌ من الآمالِ والأحلامِ!
ترقَى مراقي الرُّوح دون حوائلٍ
وتبينُ عن ظُلَمِ من الأجسامِ!

* * *

ثم استفاقتْ من خُفوق فؤادِها
بشقاوةٍ ومرارةٍ وأُوامِ
قالتْ: «سمعتُ جميعَ ما أبلغتَه
لأبي، وما ألقاهُ من أحكامِ
فقداختبأتُ وكنتُ أرقبُ ماجرى
فإذا أبي هو أظلمُ الظُّلاّمِ

(١) كلام: جروح.

هو مَنْ عَرَفْتُ فلا الوعيدُ يردُّه
أبداً ، ولا سَعْيٌ ودمعٌ هامِ!
كلاَّ ، ولا شَتَّى الضراعةِ كلّها
أبداً ، ولا وعدٌ من الحُكَّامِ!
وأنا لِحُبِّكَ يا (هريفزُ) ... إنني
وَلْهَى ، وداءُ الحُبِّ ملءَ عظامي!
ولكم كتمتُ الحُبَّ عَهْداً هكذا
حتى أضاع الكتمُ كلَّ سلامي!
بل كاد يُفقدني الحياةَ فطالما
أُسقيتُ من أقسى الحميمِ الحامي!
فارحمْ وحسبي ما بُليتُ به وما
قاسيتُ من حُبّي وفي استسلامي!
أمَّا وَدَاني الموتِ حُكْمٌ لازبٌ
فالموتُ قربكَ مثلُ عيشٍ لزامِ!
خير لروحي من فراقك ، إنه
مَوْتي ، وفي الموتين شرُّ حرامِ!

أَوْلَى بنا موتُ اللقاءِ على الهوى
بالجوع أو بالسيفِ أو بضرامِ !
فالى الفرارِ إذنْ ... الى وادي الردى
مِنْ مشْهَدِ الوادي المهولِ أمامي !
وأنا العليمةُ بالذي في طيّه
من جَمْعِ أهوالٍ ورَوْعِ زؤامِ
ومن الوحوشِ، ومن ظلامٍ، أو مدى
جُوعٍ، ومن وعثٍ، ومن أخصامِ
هم كلُّ أهلي ثم قومُك، إنهمْ
لن يرحموكَ من اقتصاصِ نظامِ
ستَعَدُّ عندهمُ الجبانَ، جزاؤُهُ
يومَ الفرار جزاءُ شرِّ طغامِ
لكنْ ... لنلتمسْ الحياةَ بموتِنا
في عالَمٍ أصْفَى من الآلامِ
في غير ذي الدُّنيا الكئيبةِ، كم بها
من شرِّ ويلاتٍ ومنْ إظلامِ
في عالَمٍ فيه التآلفُ بيننا
باقٍ، وزينتُهُ أبرُّ سلامِ !

ماقيمةُ الدنيا إذا افْتَقِدَ الهوى ؟!
مانشوةُ النُّعْمَى بغيرِ مُدَامي ؟! »

***

قالتْ مقالتَها كأنَّ حروفَها
شَرَرُ الهوى المجموعُ جمعَ كلامِ !
وكأنها الجهدُ الجسيمُ فأعولتْ
من فرط إجهادٍ ووقعِ سهامِ
وهوتْ على الارض الحنون كأمِّها
تبكي بكاءَ الثكل والأيتام !
وتئنُّ أنَّاتِ المهدَّم هدَّهُ
شتَّى العواطفِ تحت سيل طامِ !
وأقلُّها يكفي لنسْفِ شواهقٍ
بلْهَ الجسومِ وقائماتِ رجامِ ! (١)
فهَوَى (جريفزُ) فوقها بدموعهِ
ومن الدُّموعِ النَّارُ للظُّلَّامِ !

---

(١) الرجام : القبور .

اللهَ في حاليْهـما بفجيعـــةٍ
تذرُ الأنامَ أحطَّ من أنعَامِ!

* * *

أنستْه واجبَه كجنديِّ الوَغَى
تلك الصُّرُوفُ سقَتْه كأسَ سمامِ[1]
لم تُبْقِ منه سوى الدِّماءِ لهجرةٍ
ياليتها كانت لحسنِ ختامِ!
فمضى وقد حمل الفتاةَ برحمةٍ
كلاهما والطفل العليل الظامي!
وعدَا لخيمتِه بها، وبخفّةٍ
أخذَ السّلاحَ وجُعْبَةً لطعامِ
والماءَ في قارورتيْه كأنه
مقياسُ عمرهما لغير تمامِ!
ركضا، وقد ألقى بنظرته إلى
ظلِّ به[2] دَفنَ الاباءُ السامي

(١) سمام: جمع سم.
(٢) يريد خيمته.

شرفُ الوغى فيه صريعُ صبابةٍ
وقتيلُ أتْرَاحٍ ورَهْنُ رَغَامِ!
فمَضَتْ به شطرَ الصُّخُور لعلَّها
تُخْفيهِ عن مُستقتلٍ مُتعَامِ
وتتبَّعا أخفى المعابر بعدما
خدعا عيونَ مسالكٍ ومَوَامِ (١)!
وبكلّ مَعْسَفَةٍ (٢) دليلٌ عاطفٌ
وبكل مَجْهَلة أبرُّ إمامِ!
لولا قضاءُ الموتِ ليسَ يُضِلُّه
حينَ القضاءُ تَشَعَّبُ الآكامِ!
ولطالما كان الهروبُ من الرّدى
أسراً، وكان الكهفُ بيتَ حِمَامِ!
أمَّا رضاءُ النفس عن إفنائها
فيَرُدُّ كلَّ غضاضةِ اللُّوَّامِ!
ليس الذي يلقى الحِمَامَ مُحَرَّراً
مثلَ السجينِ أُميتَ بين لئامِ!

(١) الموامي: الفلوات. جمع موماة.
(٢) المعسفة: المجهلة من الارض يعتسفها السالك اي يخبط فيها على غير هدى.

النشيد الرابع

حُبِسَ اليراعُ براحتي كلساني
فَرْطُ التأمُّل في الأسى أنساني !
ما أفظعَ الانسانَ عند توحُّشٍ
ما أظلمَ الانسانَ للانسانِ !
لم أدْرِ في لحظات حُزنٍ محرقٍ
أأنا القتيلُ أم الأثيمُ الجاني !
ملكتْ شِباكُ الحزنِ كلَّ خواطري
حتى كأنّي قد فقدتُ جَناني !
فإذا الوفاءُ يهزّني بندائِهِ
فأفقتُ من شجنٍ ومن نسيانِ
وغمستُ في داجي المدادِ يراعتي
تخذ السوادَ حدَاده لبياني !
وخططتُ في هذي السطور بما وعتْ
سُورَ الشقاءِ وآية الأحزانِ

وكأنّما ثأرُ الفضيلةِ طَعْنُهَا [1]
بالوصفِ آونةً وبالبرهانِ !

* * *

جلسَ الزّعيمُ وقد تولّى خصمُهُ
كالأرقمِ المتأهّبِ المتواني
وكأنّما هو راصدٌ لفريسةٍ
شطْرَ الطّريقِ وإنْ بدا كجبانِ
في ضربةٍ أو سكرةٍ من حزْنهِ
عزّتْ على التفريجِ والسلوانِ
ذهبتْ بعزّةِ نفسِهِ وشُمُوخِها
كلماتُ مُغْضَبِهِ الجريءِ العاني
فاذا مُريعُ الحقدِ يملأُ نفسَه
بالسُّمِّ آونةً وبالخذلانِ
فمضتْ به السّاعاتُ وهو بحالةٍ
كالميتِ في كفنٍ من الأكفانِ

---

(١) الضمير عائد الى البراعة .

حتى استفاقَ على عويلٍ صاخبٍ
ودويِّ زمجرةٍ من النسوانِ
فأحسَّ عندئذٍ بوقعِ مصيبةٍ
كبرى ، وأسرعَ واثباً في آنِ
علمَ افتقادَ فتاتِهِ اذ أطلقتْ
للريح ساقيْها بغفلةِ وانِ
فأهاب بالرهطِ [1] الذين حيالَه :
« هُبُّوا إلى الثأرِ العتيِّ القاني !... »
فمضوْا جميعاً مثلَ جيشٍ زاحفٍ
حتى النساء وأصغر الفتيانِ
قصدوا معسكرَ (الانجليز) فصدَّهم
الديدبانُ وقال باستئذانِ
فرماه في الدم للثرى متخبطاً
سيفُ الزعيمِ ، وكان في ثورانِ !
وكأنَّما مرأى الدماءِ أثابه
للرُّشدِ بعد العنفِ والطغيانِ

(١) الرهط : قوم الرجل وقبيلته .

فدعا الرجالَ إلى التوقُّف زينما
يلقى كبيرَ الجندِ دونَ تَوَانِ
ولسوف يُخبرُهم بمَبْلَغِ رأيه
بعدَ اللقاءِ بهِ وبعدَ ثَوَانِ

***

عاد الزّعيمُ بلحظةٍ في إثرِهِ
لَجَبٌ وكوكبةٌ من الفرسانِ
فاختار عشرةَ فتيةٍ من أهله
ومضَوْا فكانوا في اقتفاء رهانِ
سيّان سخطُ أبي الفتاةِ وقائدُ الـ
ـجندِ الغيورِ لسمعةِ الأوطانِ
هذا يئنُّ على انتزاع فتاتِهِ
منه ، وذاك يرى أذاةَ جبانِ
ويعدُّ أقسى العارِ تركَ سلاحِهِ
ليهيمَ خلفَ مليحةِ العربانِ
فكلاهما في نارِ سُخْطٍ شاملٍ
وكلاهما للعِرْضِ مكلومانِ

***

قال المحدّثُ: « ... كنتُ بين جماعةٍ
تركوا (الكُوَيْرَةَ) في رِضى الخِلاَّنِ
متوجّهينَ إلى محلّ روايتي
متقاسمينَ شدائدَ الرُّكبانِ
حتى بلغنا عينَ ماءٍ طالما
مَنَّى الدليلُ بها لكلّ مُعَانِ
واذنْ نزلنا عن ظهور جيادنا
متنفّسين الشكرَ للرحمٰنِ
ومبرّدين وجوهَنا من مائها
وظماءنا من سَوْرَةِ النّيرانِ
ثم انتجعنا للصُّخُورِ ظوامئاً
بل مُحْرَقَاتٍ من أذى الشيطانِ!
والخيلُ وهي تَصِلُّ[1] تشربُ جُهْدَها
وتَظَلُّ كالنَّجِرِ[2] الشقيِّ الفاني

(١) يقال: جاءت الخيل تصل اذا جاءت عطاشا يبسا من العطش.
(٢) النجر: من امتلأ شرابا ولا يزال على ظمأ شديد.

وإذا بصوتٍ خافتٍ يدنو ـ على
مَتْنِ الهواءِ ـ بلهفةِ الأسْوَانِ[1]
طلبَ المعونةَ بل وأكرمَ نجدةٍ
واهتزَّ من ضَعْفٍ ومن إيمانِ
ولشدَّ ما كنّا بدهْشتنا وقد
شِمْنَا فتاةً تشتكي وتُعاني...
ثم اتَّجهنا صاعدين لصوتِها
جَبَلاً تجرَّدَ مِنْ رضًى وحنانِ!
قَسَتْ الطَّبيعةُ إذْ رَبَتْه كما قسا
فبدا كبُرْكانٍ على بُركانِ!
لم يلفظْ النيرانَ لكنْ كلُّه
وَهَجٌ من النّيرانِ والإثخانِ[2]!
ترتدُّ عنه العينُ وهي كليلةٌ
ويراه حِسُّ القلبِ في خفقانِ!
حتى بلغنا مَصْدَرَ الصَّوْتِ الذي
في سَمْعِهِ الآلافُ من أشجانِ!

(١) الأسوان : الحزين .
(٢) الإثخان : المبالغة في التجريح .

الفاجعة

هيهات لحظاها يقر سناهما ✻ من لوعة التفكير والحسبان !

فإذا فتاةٌ كلُّ وَصْفِي أنها
لم تَلْقَ مثلَ جَمالِها عينانِ !
جلستْ ورأسُ فتًى يُعَزُّ بحُجْرِها
في صُفْرَةٍ للموتِ أو إيذانِ
نُشِرَتْ على الوجه الصَّبيح ـ كأنَّه
وَرْسٌ، وكان[1] الامسَ نُورَغوانِ
وإذا بها في صُورَةِ الجزَعِ التي
ملكت صميمَ النفسِ والوجدانِ
هيهات لحظاها يقرُّ سناهما
من لوعةِ التفكيرِ والحسبانِ
ويكاد يغلبُها الجنونُ وربما
كان الجنونُ هُدًى الى اللهفانِ !

* * *

فتهيَّج العُرْبُ الذين أثارهم
مَرْأى الجنيبِ الراقدِ الهَيْمانِ
لكنَّ قائدنا تأدَّبَ ، لائمًا
لهمُو ، وناشدَ نَخْوةَ الشجعانِ

(١) أي الوجه .

ودعاهمو لتدبُّرِكي يُدركوا[1]
مرأى أحقَّ بمنتهى الاحسانِ
ما كان إلاَّ صورةً لمتيَّمٍ
دنفٍ ، وملهوفٍ شقيٍّ عانِ
أوْلَى به فرضُ الاغاثةِ... إنه
حقُّ الجوارِ وطاعةُ الأديانِ
ودعا الطبيبَ فجاء يبذل جُهْدَه
ما بين إنعاشٍ وجسِّ بَنانِ
فأفاق ثم رنا بروح مودِّعٍ
(لهما) ... فكانت نظرةَ المتفاني!
ذهبتْ بكلِّ حياتهِ ، وغرامهِ ،
وحنانهِ ، وفؤادهِ الولهان!
فاذا الفتاةُ بلمحةٍ بل دونها
نزعتْ مسدَّسَه بخفَّةِ جانِ!
ورمتْ رصاصتَه بجانب ثديها
وهوتْ تبلِّلُهُ بدمعٍ قانِ!
هو كلُّ ما أبقى الغرامُ لها... ، فيا
للهِ ما بذلتْ وللغفران!»

(١) يدركوا : يفهموا .

النشيد الخامس

أعلمتَ ما معنى أخسّ العارِ
في عُرفِ مَنْ تخذوا النفوسَ جَوَاري ؟!
الحاكمين على أعزّ مَصيرِها
البائعين مآلَها للشّاري !
المُوهمين بأنّ ما يحدو بهم
للقهرِ طَبْعُ البرّ والإكبارِ !
لايَقْبلُونَ الحُكْمَ في أهوائِهمْ
ويُضيّعون غواليَ الأعمارِ !
مِنْ كلّ جبّارٍ يَتيهُ بدِينِهِ
والدّينُ لن يرضاهُ في الأنصارِ !
ومُفاخِرٍ بالعِرْضِ وهو يُهينُهُ
بتساوةِ الفُجّارِ لا الأطهارِ !
ومُبالِغٍ يغترُّ من أنسابِهِ
ويخالُ باقي الناسِ كالأغرارِ !

ويظنُّ موطنَه العزيزَ وغيرَه
للموتِ أو لنهايةِ الإصغارِ !
جمعوا صفاتِ الهادمين وإنْ زَهَوْا
وبَنَوْا مفاخرَهمْ لأيِّ دمارِ !
تَشْقَى مُنَى الإنسانِ من أهوائِهم
ويُبدِّلون الوَهْمَ أقبحَ عارِ !

* * *

ويرى المسافرُ في دُجَى الوادي الذي
هو للمسافرِ وحدَه والسَّاري
في موطنِ (**العقباتِ**) حيرةَ أصلِهِ
ولدى (**عمامةَ**) ضلالَ ذهنِ القاري
فاذا أتى (**للعين**) [1] كيما يرتوي
ثم انتحى الجبلَ المُطلَّ الزاري
فهناك يُبصرُ لوحةً سوداءَ قد
خَطُّوا بها للوعظِ والتَّذكارِ :

---

(١) هي التي سبقت الاشارة لها في النشيد الرابع ، ص٤٩

« هذا مَقَرُّ رفاتِ خاذلِ جيشِهِ
هذا (جريفزُ) مات موتَ فرارِ
وكذاكَ مرقدُ من قضتْ بهروبها
هذي (صرها) هربتْ من الأخدارِ ... »

***

قال المحدّثُ : « لستُ أدري ماترَى
أقسى على نفسِ الحزين القاري
مَوْتُ الحبيبين العزيزيْن كما
ماتا ممـاتَ فظَاعةٍ وصَغَارِ
أم وَقْعُ ما كتبَ المؤرّخُ هكذا
باهانةِ الذّكرى وحُكْمِ العارِ
وهما البريئـان اللـذان تهـاربا
مِنْ عالمِ الجبروتِ والفُجّارِ
كيما [1] يعيشا في التّلاقي بَعْدَه
في عالمِ الأبديّةِ المتواري ... »

***

(١) ما زائدة وليست بكافة عن العمل.

فنثرْتُ دمعي وهو بعضُ عواطفي
وجمعتُ نارَ الدمعِ في أشعاري !
هي [١] حُكْمُ إنصافٍ وآيةَ رحمةٍ
وسَريٌ باقاتٍ من الأزهارِ !
وُضِعَتْ على قَبْرِ الزّمانِ فانّه
قبرُ الغرامِ الخالدِ القهّارِ !
يطوي صحائفه [٢] وينشر غيرَها
والكونُ بينهما [٣] عصيٌّ جاري !
ماتا وقد جَهِلَ المؤرّخُ مَنْ هما
في لَوْحِهِ المتعثّرِ الأسطارِ
وأرى النُّشُورَ الذكرَ ، فاقرأ لوحتي
وافْقَهْ شِعارَ الحبّ ، فهو شِعاري !

(١) أي الاشعار . (٢) أي الغرام . (٣) بين الزمان والغرام .

البراءة المزهرة !

ماتا وقد جهل المؤرخ من هما ٥ في لوحه المنعثر الاسطار

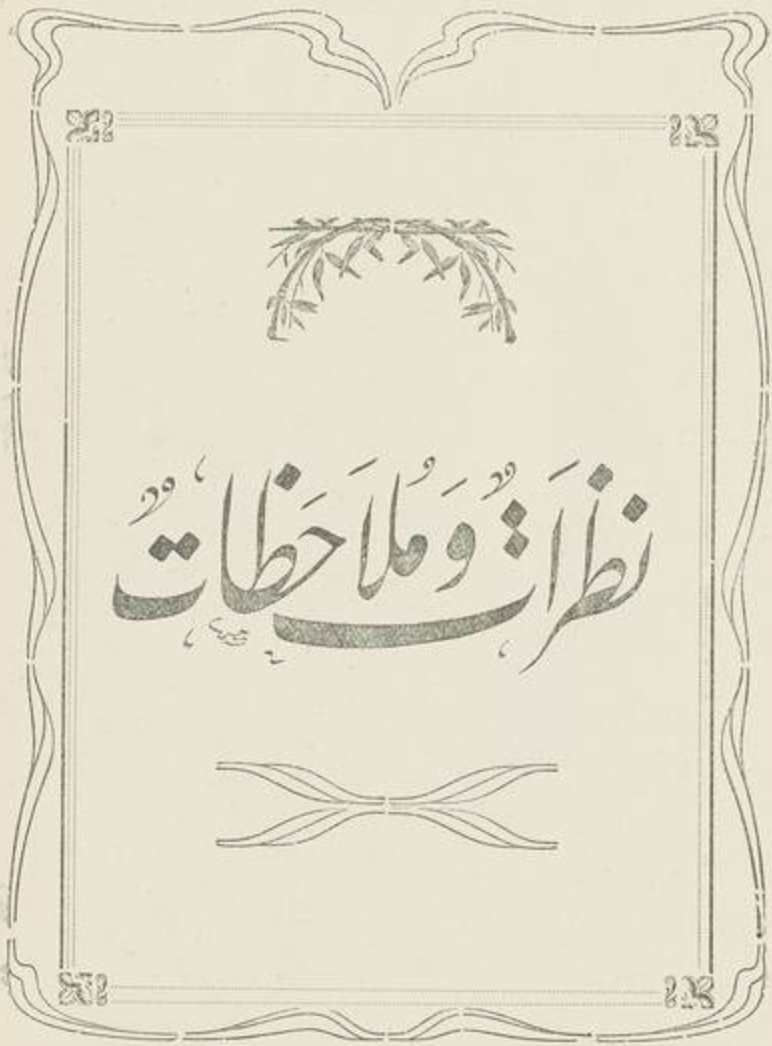
نظرات وملاحظات

نظرات وملاحظات

بقلم الناظم

موضوع القصة

هذه احدى « قصص الحرب » الكثيرة المؤثرة . أذاعها الاستاذ الأديب حبيب جاماتي على أنها واقعية فزاد بذلك أثرها في نفوسنا . ولو أنه قارنها بطائفة أخرى من مثيلاتها مما نشرته الصحف والمجلات الغربية لربما عدت أهونها تفصيلاً وأخفها ألماً وأقلها مأساة ، ولكنها قصة ذات صبغة شرقية بل شرقية غربية ، وقعت وقائعها على حدود مصر ، ومست شيئاً من عوائدنا وتقاليدنا ونتائج ذلك ، فكانت بهذه الصفة أحق بدرسنا من كثيرات من قصص الحرب مهما كانت تلك القصص عظيمة .

قصة (مرها) وجيزة الموضوع تعرض أمامك عاطفة الحب التي لا تغالبها جنسية ولا دين ولا موطن ولا عوائق الظروف ، فالحب سلطان أحكامه شائعة ، والنفوس المتحابة لا تفهم لهذه الحوائل

معنًى ، ولا تعرف حقَّ العدل أمامها ، لأنها تدرك أنها خُلقتْ لتتصل بعضها ، وما انفصلتْ إلاَّ وهي وَحْدَةٌ في جوهرها دائمة التجاذب.

كذلك تعرضُ أمامك أشرفَ صُوَر التضحية في سبيلِ الحبِّ ، ومثلَ البراءة المتهمة ، والفضيلة المغبونة ، وتحكُّمَ الانسان في عواطف الانسان ، ولو أدَّى به الى التهلكة !

ورغمَ ايجاز القصة وسهولتها فهي بليغةُ التأثير ، لأنَّها إنْ لم تكنْ واقعية فهي قريبةٌ من الواقع ، بعيدةٌ عن التعقيد والتكلُّف ، تمتلك عواطفك بسهولتها الجذّابة وبما تبسطه من حقائق مجرَّدة عن المبالغة الداعية الى الشكوك .

نظمُ القصة

ربما استغربَ بعضُ القرّاء قولي إني كنتُ أفضّل وضعَ قصةٍ بل قصص شعراً على نظم قصةٍ أصيلةٍ كهذه وضعها راويها الناثرُ في اسلوبٍ جميل من البيان السهل ، ولم يترك لغيره مجالاً لزيادةٍ أو لتهذيبٍ في الوصف . نعم كنتُ اوثر ذلك لولا المناسبات الخاصة التي حبّبتْ اليَّ العناية بهذه القصة .

ولقد تتبَّعتُ بيانَ راويها الأديب سطراً سطراً ، ورأيتُ من الأمانة الأدبيّة المحافظة الوافية على نزعة الرّاوي وعلى خطراته التي كان لها دويٌّ في نفسي ، فكان في ذلك تكليفٌ يخالف طبيعيّ التوّاقة الى الحرّية ، ولكن كانت لي فيه أيضاً لذّةُ التعاون على نصرةِ الفضيلة المغبونة. فاحتملتُ جلسات النظم والقيود التي ما كنتُ أعبأُ بها في ظرفٍ آخر. ولم أدعْ فرصةً مناسبةً لاستنتاج أو بيانٍ أو تحليلٍ من عندي الاّ وانتهزتها ، وان كان المجال ضيقاً بالنسبة لقصةٍ واقعيةٍ سبقتْ روايتها . وسيرى القاريُ بالمقابلة بين الوصف النثري وأخيه النظمي قرائنَ هذا التقرير وأسبابه .

واخترتُ نظمَ القصةِ من بحرٍ واحدٍ هو « الكاملُ » لمناسبته في تدفّق شعور الرّاوي ، وجعلتُها في خمسة أناشيد متنوّعة القوافي في مجموعها ملتزمةً في كلّ نشيد ، أي أنّ لكلّ نشيد قافيةً مستقلة اخترتُها مما يناسبُ وقعُها موقفَ الوصف مع تجنُّب التنافر بين نشيد وآخر ، بحيث اذا جلس القاري ، ليتلوَ القصة كاملةً لم يصدَّه هذا التقسيمُ ، وكانت له بين نشيدٍ وآخر مهلةُ ترويح عن النفس ، وفترةُ تفكيرٍ وتشويقٍ الى مطالعة بقية القصة ، فيجدها رغم ذلك التقسيم وحدةً كاملةً .

وقد وقع نظمُ القصة في ثلاثة وأربعين ومائتين من الأبيات ، وهو عددٌ قد تسعه قافيةٌ عربيةٌ ، ولكنّي لم أتعلق بهذا التقيُّد الذي لا ضرورةَ له ولا حكمةَ ولا لذّةَ فيه ، ورأيتُ أنّ في هذا التنويع تدريباً للذوق العصريّ على التخلّي عن عادة الالتزام الّتي كثيراً ما جنتْ على الشعر العربي قديماً وحديثاً ، وانْ كان منها أحياناً بعضُ التجميل .

أمثلةٌ من الوصف والبيان

استهللتُ القصةَ بهذا البيت المرتجل ترديداً للوصف النثريّ ولفتاً للأذهان اليه وتقديراً لكاتبه ، وقد كان فوق ذلك صدى من أعماق نفسي :

هاتِ الحديثَ عن الضحيّةِ هاتِ
وخُذْ الشّكاةَ الى الزّمان الآتي !

وما ذلك « الزمان الآتي » سوى زمان النور والحرية الرشيدة الذي يُرجى أن تندر فيه مثيلات هذه الضحيّة إن لم يمْنَعْ وقوعها .

وأمّا عن أهمّ شخصية في القصة فكان يكفيني ـ لولا أمانة الرواية وحكم الوصفِ القصصي ـ الاقتصار على هـذا البيت في تعريفها :

كانت فتاةً في جمالٍ فاتنٍ وكذا الجمالُ اعزه بفتاةِ

وفي هذا صدى قول (**كنفوشيوس**) : « المرأةُ اكملُ المخلوقات » ، ولكنَّ الأديب الراوية لم يكن قنوعاً في وصفه ، ولم أشأ أن أكون ناظماً فقط ، فجرى قلمي بهذا التحليل :

دُعيتْ (مرها) مِنْ سحرِ عينيْها، وما
نُصِفتْ بجمعِ محاسنِ لمهاةِ
فالحسنُ أعظمُ مِن مَنالِ مُشبهٍ
يبنى المُنى ويهدّمُ الدُّولاتِ !
سمراءُ ردَّدت الطبيعةُ لونَها
في كلّ جذّاب المحاسنِ عاتِ !
وكأنما شمسُ الأصيل بغَيْرَةٍ
سرقتْ ذُرورَ جمالها كأداةِ !

الى آخر هذه الابيات الوصفية .

ومن أمثلة الوفاء في التطبيق على الوصف النثري هذه الأبيات عن ثغر (**العقبة**) :

لولا مياهٌ (**للخليج**) وبعضُ ما
يُبْدِي النَّخيلُ لعُدَّ قَبْرَ مَواتِ

تلقى الطبيعةَ فيه صُورةَ قسوةٍ
جمعتْ بمحضِ الصَّمتِ عسفَ قُساةِ!
وتكاد تسمعُ من مُنوَّعِ خلْقِها
وجمادِها شكوى، وأيَّ شَكَاةِ!
حتى حجارةُ (مصنعها) بسوادِها
لبستْ حداد تعاسةٍ ووَفَاةِ!
حتى المساكنُ في حقارة طينها
مُثُلُ الشقاوةِ بنَّ مضطربات!

وأشباهُها كثيرةٌ في أبيات القصة إذ مما جعلته نصب عينيَّ هذا الوفاء.

ومن أمثلة التشبيه والتقرير الشعري في مناسبات الشرح والاستنتاج هذه الأبيات: —

(١) في وصف نموّ الحبّ:

فأحبَّها مُسْتَمْرِئاً ترداده
والحبُّ تغذوه مُنَى الترداد!
كالزَّهرِ يُنميهِ النَّدى بتكرُّرٍ
وحنانُ نورِ الشَّمسِ بالإمداد!

(٢) في وصف متناقضات الزّمان :

يدعو بغفلته القلوبَ الى الهوى
بينا يظلُّ كذاكَ بالمرصادِ !
فسلامهُ حَرْبٌ ، وغايةُ حلمِهِ
بطشٌ ، وكلُّ سخائهِ لنفادِ !

(٣) في تكتّم الحبّ والاباحة به :

كَتَما الهوى كَتْمَ اللّسانِ، وما الهوى
إلاّ لُغَى الأرواحِ لا الأجسادِ
حتى اذا ما الجسمُ فاضَ بوحيهِ
أفضى به بتبـــادُلٍ وتَنَادِ
وكذلك اجتمعا اجتماعَ صراحةٍ
وتبادَلا معنى الغرامِ الصّادي
ولربّما كان التكتّم مثلها (١)
عَذْباً ، وأبلغَ من فصيحِ (الضّادِ) !
لُغةُ العواطفِ في إشارةِ عاشقٍ
أجلَى من التّبيانِ والإنشادِ !

(١) أي مثل الصراحة .

إنَّ العيونَ تقول في نظراتها
ما قد يفوتُ هُدَى خطيبِ النَّادي !
ما العاشقان المخلصان كلاهما
في الصَّمْتِ أو في الجهر غيرَ فؤادِ !

(٤) في نُصح الهوى :

لكنها أذكتْ حرارةَ قلبه
فأطاعَ دفعَ لهيبهِ المزدادِ
نُصْحُ الهوى نُصْحٌ يقودُ الى الرَّدى
مَنْ ذا الذي ألفاه طِبَّ رشادِ ؟!

(٥) في الشقيّ المنتحر :

يمضي بهِ حُكمُ الغريزةِ للرَّدى
فيسيرُ كالمأسورِ والمنقادِ
وكأنما في الانتحارِ حياتُهُ
وكأنما في البحر ذُخْرُ ودادِ !
ما أظلمَ الانسانَ نحو شقيقهِ
حتى تميَّزَ عنه عطْفُ جَمادِ !

(٦) في ظُلامة التقاليد :

أرأيتَ كيفَ نُساقُ للآلامِ ؟!
كيف البريءُ يُلامُ شرَّ مَلامِ ؟!
كيف الشُّجاعُ يُعَدُّ أحقرَ طامعٍ ؟!
كيف الشريفُ يُداسُ بالأقدامِ ؟!
كيف العوائدُ عن قبيحِ ضلالةٍ
تطغى على الأحلامِ والأفهامِ ؟!
تأبى شريفَ الجُهْدِ والشَّرَفَ الذي
يزدان بالاحسانِ والإقدامِ ؟!
للأمسِ ـ لا لليومِ ـ كلُّ حنينها
ولو أنَّ فخرَ الأمسِ للأصنامِ !
بئستْ مضحّيةَ النُّفوسِ لوهمِها
بئستْ ملطّخةَ الفهومِ بذامِ !

(٧) في التفاني بالحبّ :

للحُبِّ آونةٌ تُخالُ كأنّها
عُمْرٌ من الآمالِ والأحلامِ !
تَرْقى مَراقي الرُّوحِ دونَ حوائلٍ
وتبينُ عن ظلمِ من الأجسامِ !

(٨) في دنيا الحبّ :

ما قيمةُ الدُّنيـا اذا افتُقِدَ الهوى
ما نشوةُ النُّعْمى بغير مُدَامي ؟ !

(٩) في نذير الموت :

والماء في قارورتيْه كأنّه
مقياسُ عمرهما لغير تمام !

(١٠) في هرب الحبيبين من موت الفراق البغيض الى موت اللقاء المحتمل :

وتتبَّعا أخفى المعابر بعد ما
خدَعا عُيونَ مسالكٍ وموامِ
وبكلِّ مَعْسَفَةٍ دليلٌ عاطفٌ
وبكلِّ مَجْهَلَةٍ أبرُّ إمامِ !
لولا قضاءُ الموتِ ليس يُضله
حين القضاءُ تشعَّبُ الآكامِ !
ولطالما كان الهروبُ من الرَّدى
أسْراً ، وكان الكَهْفُ بيتَ حِمامِ !
أمَّا رضاءُ النَّفْسِ عن إفنائها
فيَرُدُّ كلَّ غَضَاضةِ اللُّوَّامِ !

ليس الذي يلقى الحِمامَ مُحَرَّراً
مثلَ السجينِ أُميتَ بين لئامِ !

(١١) في التأثُّر من رواية هذه الفاجعة :

حُبِسَ اليراعُ براحتي كلساني
فَرْطَ التأمُّلِ في الأسى أنساني !
ما أفظعَ الانسانَ عند توحُّشٍ
ما أظلمَ الانسانَ للانسانِ !
لم أدرِ في لحظاتِ حُزْنٍ مُحْرِقٍ
أأنا القتيلُ أم الأثيمُ الجاني ؟!
مَلَكتْ شِباكُ الحُزْنِ كلَّ خواطري
حتى كأني قد فقدتُ جَنَاني !
فاذا الوفاءُ يهزّني بندائهِ
فأفقتُ من شجَنٍ ومن نسيانِ
وغمستُ في داجي المدادِ يراعتي
تحذو السوادَ حِدادَه لبياني !
وخططتُ في هذي السطورِ بما وعتْ
سُوَرَ الشقاءِ وآيةَ الأحزانِ

وكأنما ثأرُ الفضيلةِ طَعْنُها
بالوَصْفِ آونةً وبالبرهانِ !

(١٢) في مشهد جبلٍ مُحْرِقٍ :

قسَتْ الطبيعةُ اذْ رَبَتْهُ كما قسا
فبدا كبركانٍ على بُرْكانِ !
لم يلفظ النيرانَ لكنْ كلُّه
وَهَجٌ من النيرانِ والإدْخانِ !
ترتدُّ عنه العينُ وهي كليلةٌ
ويراه حِسُّ القلبِ في خفقانِ !

(١٣) في نَزْعِ المحبِّ ولهفة العاشقة :

جلستْ ورأسُ فتىً يُعَزُّ بحُجْرِها
في صفْرَةٍ للموتِ أو إيذانِ
نُشِرَتْ على الوجه الصبيحِ — كأنه
وَرْسٌ — وكانَ الأمسَ نُورَ غوانِ
هيهاتَ لحظاها يَقرُّ سناهما
مِنْ لوعةِ التفكيرِ والحُسْبانِ
ويكادُ يغلبُها الجنونُ وربما
كان الجُنون هُدًى الى اللهفانِ !

(١٤) في حكم المستبدّين ببنائهم ، العابثين بالنفوس البريئة ، تبعاً لمتنوّع أوهامهم :

أعلمتَ ما معنى أخسِّ العارِ
في عُرْفِ مَنْ نَخذوا النُّفوسَ جواري؟!
الحاكمين على أعزِّ مصيرها
البائعين مآلَهَا للشَّاري !
المُوهمين بأنَّ ما يحدو بهمْ
لقَهْرِ طَبْعُ البرِّ والاكبارِ !
لايقبلون الحُكْمَ في أهوائهم
ويُضيّعون غواليَ الأعمارِ !
مِنْ كُلِّ جبَّارٍ يتيهُ بدينِهِ
والدِّينُ لن يرضاه في الأنصارِ !
ومُفاخِرٍ بالعِرْضِ وهو يُهينُهُ
بقساوةِ الفُجّارِ لا الأطهارِ !
ومُبالغٍ يغترُّ من أنسابِهِ
ويخالُ باقي الناسِ كالأغرارِ !
ويظنُّ موطنَهُ العزيزَ ، وغيرَه
للموتِ أو لنهايةِ الإصغارِ !

جمعوا صفاتِ الهادمينَ وإنْ زَهَوْا
وبَنَوْا مفاخرَهم لايِّ دمارِ !
تَشْقَى منَى الإنسان منْ أهوائهمْ
ويُبَدّلون الوَهْمَ أقبحَ عارِ !

(١٥) في العواطفِ التي أملتْ نظمَ القصة :

فنثرتُ دَمْعي وهو بعضُ عواطفي
وجمعتُ نارَ الدّمعِ في أشعاري !
هي حُكْمُ إنصافٍ وآيةُ رحمةٍ
وسَريُّ باقاتٍ من الأزهارِ !
وُضِعَتْ على قبرِ الزّمانِ فانه
قَبْرُ الغرامِ الخالد القهّارِ !
يَطْوِي صحائفَهُ وينشرُ غيرَها
والكونُ بينهما عَصِيٌّ جاري !
ماتا وقد جَهِلَ المؤرّخُ مَنْ هُما
في لَوْحِهِ المتعثّرِ الاسطارِ !
وأرى النُّشورَ الذكرَ فاقرأْ لَوْحتي
وافْقَهْ شعارَ الحبِّ فهو شِعاري !

وكم كنتُ أتمنّى لو كان المجالُ أوسعَ للوصف والتحليل الشعريّ حتى يشفعَ لي جهدي بالمجموع في تقصيري ببعض المواقف .

فهم الشعر

يكتبُ النُّقّادُ الأدباءُ كثيراً في تعريف الشّعر وفي نظم الشّعر ، وكثيراً مايخلطون ، وأحياناً يخبطون خبطَ عشواء ، لاسيما حينما يتبرعون بارشاد الشعراء المطبوعين الى « أحسن » أساليب النظم ونحو ذلك ... ، ولكنْ قلّما نطّلع على نقدٍ متعلقٍ بقراءة الشعر كما ينبغي أن يُقرأ ، ولا عن فهم الأدباء أو غيرهم للشّعر .

إنّي أتحدّث عن نفسي فأقول إني إذا نظمتُ في موضوعٍ وصفيٍّ خياليٍّ جرّدتُ ذهني مما حولي وآثرتُ العزلة وقيّدتُ ما أراه بعين بصيرتي معتمداً على ذخيرة مشاهداتي الماضية وعلى خبرتي وعواطفي . وإذا وصفتُ ما أشاهده وأتأثر به بذلت جهدي في الوفاء لاملاء حواسي ، وحلّلتُ المنظرَ الذي أمامي ثم ركّبتُ ذلك جُهدَ طاقتي في وصفي الأمين .

أفعلُ ذلك دونَ تكلُّفٍ ، لأنّما أعبّر عن مشاهداتي وعن عواطفي بلغةٍ هي لغةُ بيئتي المصرية المتعلمة التي أكتبُ بها هذه السّطور .

ثم ماذا ؟

يقرؤُ هذا الشعرَ ـ أو ما هو أحسن منه من نظم سواي ـ من يقرؤُهُ من الادباء ، فبعضُهم ينظر الى عنوان القصيدة ويتأمل موضوعَها ثم يقرؤها بما يقرب من الشعور الذي نظمتُها أو نظمها غيري به ، مبتدئاً بتخيل صورة عامة للمشهد الموصوف ، تاركاً للشعر رَسْمَ التفاصيل ، وبذلك يُشاركني أو يشارك سواي أتمَّ مشاركةٍ مستطاعةٍ في لذّتي الفنيّة أو في لذة غيري من الشعراء وقتَ نظمها . وبعضُهم لا يجدُها من البحر أو القافية الحبيبة اليه فيعرض عنها ... !! وبعضهم يقرؤ شيئاً منها في شبهِ تأمُّلٍ بينما تقاطعه أحاديث أو مناظر عارضة ... ! وبعضهم قد يملُّ القراءةَ ويدّعي الرغبة في الاستماع الى تلاوة الشعر ، وبينما تُسمعُهُ يكون غالباً في شاغلٍ بالعربة الفائتة أو بالسيدة المتلفّتة أو ببائع البطيخ أو أحقر ما يُعنى به الرجل العاميّ ... ! وبعضهم يُصغي الى انشادك وكأنه ليس معك ، فتراهُ مُصغياً في غير اصغاء ، لا تهزُّهُ أجملُ المعاني ولا أمتنُ المباني

ولا أبدعُ الخيال ، ولكن متى لفظتَ كلمةً (نعم ، كلمةً واحدةً) لا ترضيه وثب عليك وثبةَ النمر وانتقدها بشدّة ، بينما اذا سألته ممتحناً عما كنتَ تنشده فانّه غالباً لا يستطيع أن يجيبك جواباً يدلُّ على التفاته الذّهني الصادق . . . ! !

واذا كان ذلك كذلك ، فليس المعنى والمغزى لهذه الحالة سوى قلة قُرّاء الشّعر بالمعنى الصادق ، فيقلّ بقلّتهم الشّعراء الفنّيون ؛ لانّ عدوى الصناعة تسري الى من لهم ملَكاتُ الشّعر ، فيحاولون ارضاء الجمهور حُبّاً في التقريظ والعناية بهم ، وهكذا يُساءُ الى الفنّ الشعريّ ، بل يُطعَنُ في الصميم .

ومن العجيب أن يُجْهدَ الشّاعرُ الفنّيُّ نفسَه لمرضاة الفنّ ، ويأتي قارؤُهُ فيضع نفسَه موضعَ الخَصْم والحكَم دون أهليةٍ ما سوى مظاهر البلادَة الذهنية التي لا تسمح له باشغالِ ذهنه أبداً . . . !

ومن العجيب أن نحتاجَ أشدَّ الاحتياج الى الشعر الفنّي مهما عظمتْ حاجتنا ايضاً الى شعر الجمهور ، فيحاول الناقدُ الأدبيُّ أن لا يفهمَ ذلك ، فيسمّي شعرَ الجمهور مبتذلاً أو ركيكاً ، ويسمّي الشّعرَ الفنّي مُعقّداً أو مُثقلاً بالمعنى أو سقيم التركيب أو غامضاً ، أو غير ذلك

من التعابير التي لاتعني سوى خَلْطِهِ بين الأحمر والأخضر ، والأبيض والأسود ، وحُكمِهِ حُكمَ الهوى عن غير قاعدةٍ ولا تمييز . . .

لماذا يُتعب الشاعرُ نفسَه في التصوير الأمين ثم يأتي القاريء متبرّعاً بالنقد الهادم — أو بالطعن لمجرد انّ على بصيرته غشاوة لا يريد أن يُتعب نفسَه في رفعها !

ولماذا يعمل الشاعرُ المفتنُّ على جعل شعره غذاءً للعقول والنفوس فيأبى قارؤه الاّ ان يكون غذاءً للشهوات والنظرات الوضيعة ويكيل له الذمَّ جزافاً ؟ !

وسواء نظم الشاعرُ للجمهور أو لجمهرة الادباء المثقّفين فحسبُهُ أن تكون لغتُهُ لغةَ المتأدبين في عصره ، وأن يكون شعره شاخذاً للأفهام من تصوير ومعان ودعابة وفكر على قدر مستوى الذين يوجّهُ اليهم شِعْرَه . وأما أن يكون الشّعرُ كلاماً ميتاً منظوماً ، له زينةُ التوابيت المذهّبة المفضّضة التي تتنقل بين مهابة المحتفلين واحترامهم ، فليس في صفة التنقل من الدار الى القبر ما يَسِمهُ بالحياة ولا مايوجب له إجلالَها . . . !

لغة الشعر

لنصرفْ نظرَنا عن قصة (مها)فقد نالت حقَّها من التأمُّل، ولننظرْ حُباً في الفائدة العامة نظرةً مُجْملةً الى لغةالشعر لنقيس بها في أحكامنا برّاً بالأدب والأُدباء جميعاً . ولولا الشَّطَطُ الشائعُ في النَّقد لا كتفيتُ في هذا المقام بما تقدم من نظرات وملاحظات .

يُشير بعضُ أساتذه الادب باقتفاء نهج السابقين من الشعراء المبرّزين في اللغة ، وينصحون الى الشعراء ـ كما ينصحون الى الأدباء عامةً ـ بالا كثار من محفوظهم وادخال المفردات والتعابير القديمة في أساليبهم . وهذا في نظري عينُ الخطأ ،لأنّ الاطلاعَ والمعرفةَ والاقتباسَ غيرُ تكلّف المحاكاة ، والمطلع على الأدب العربي يجد فروقاً واضحة بين طبقات الشعر المطبوع في عصوره المتتابعة ، اي في العصر الجاهلي ثم في عصر الراشدين ثم في العصر الأموي ثم في العصر العباسي ثم في العصر المغولي ثم في العصر العثماني ثم في عصرنا الحاضر ، كما يجد شيئاً من الفروق بين أقسام العصر الواحد تبعاً لتأثير المؤثّرات الاجتماعية والسياسية .

ولقد كان الشِّعْرُ في الجاهلية شعرَ السذاجة والفطرة الخشنة

غالباً ثم صار شعرَ الحضارة والرونق ، ثم شعرَ الانحطاط ، ثم شعر الفنّ والعلم والبلاغة ، وهذا شِعْرُ عصرنا الحاضر ـ عصر النور والاتقان ، عصر الجوهر والحكمة ـ نلمح فيه الفطرةَ المهذّبة تحلُّ محلّها ، وكذلك في الأدب العصري جملةً ، وتدوس على متكلف الصناعة دون أن تحرمه الحلاوة والطلاوة الوافية . قال الامامُ الشرتوني : « المرادُ بسذاجة الكتابة أن يكون الكلامُ فطريَّ المأخذ قريبه ، ينقاد فيه اللفظ المعنى ويخدمه خدمةَ الجوارح للارادة ، فتزويقُ العبارة وتطويلُ الجُمَل وجميع ما يستدعي استعداداً ويستلزم تكلُّفاً ـ كلّ ذلك منافٍ لسذاجة الانشاء ، غير أنّه لا بأس أن تنمّق الرسائل بشيء من المحسنات البديعية مما يكسو الكلام رونقاً ويزيده طلاوة ، ولا يضرب دون معناه حُجُباً كثيفةً ، كما يقع لكثير من المتحذلقين المبتدئين بصناعة الانشاء ، بل ينبغي أن يكون وقوعهُ فيها على حدّ وقوعه في شعر عنترة وفي نهج البلاغة لأمير الكلام عليّ ابن ابي طالب » .

ومن رأيي انّ لغة الشعر ـ فضلاً عن وجوب تنويعها حسب المواضيع من الفخم الى الجزل الى السهل ـ يجب أن تجاري النثر في تمثيل العصر والبيئة التي تنتسب اليهما ، والاّ حُقّ لنا أن نعتبر مثلَ ذلك الشعر صناعياً أو دخيلاً . خذ مثلاً قول شوقي بك

ومَنْ تبسمُ الدنيا اليه فيغترر ْ يمت كقتيل الغيد بالبسمات !

فهذا بيتٌ عصريٌّ في مجمله لجمعهِ بين الطَّلاوة في موقف الوعظ ، ولما فيه من خيال مركَّب كما هو مألوفٌ في الشعر الاوربي ، وان كان الشعرُ العربي بل القرآن الشريف كذلك حافلا بأمثلةٍ منه (١) ، ثم لاختيار ألفاظه بما يناسب خفة الذوق المصري ، فانّ لفظ « بسمات » فيما أعلم غيرُ عربيٍّ ولكنه أرقُّ وأجمل من « ابتسامات » العربية .

وشتان بين بيته هذا وبين قوله متغزلاً :

ما كنتُ أدري واسدُ الغاب ترهبني
بأنَّ سُكنى الرَّدى في أعين البَقَرِ !

وبين الشعراء العصريين من يُعَدّ من اكتب كتاب العربية مثل الاستاذ مصطفى افندي صادق الرافعي ، ومع ذلك فلم يستطع دَفْعَ النزعة العصرية عن لغة شعره في أمثلة غير قليلة ، ولم يكن هو ولا الأدب بالخاسر في ذلك ، وإنْ تعرَّض لنقد أمثال الاستاذ عبد الفتاح بيّهم في جريدة (الظاهر) وفي غيرها .

---

(١) راجع كتاب « كنوز العرفان في اسرار وبلاغة القرآن » المشهور « بالفوائد » للامام ابن قيم الجوزيه .

ذكّرني بهذا ما قرأتُهُ لأحد أدبائنا وقد حدّثنا عن شاعرٍ صديقه بأنّه أحدُ الذين يقولون الشعر « بلسان العرب الفصيح » ، وانه لا يظنّ هؤلاء يزيدون عن خمسة أو ستة !

ويدهشني أنّ ذلك الأديبَ المشهور بذكائه يقرّر هذا القولَ ولا يشعر أنّه إمّا أن يكونَ قادحاً ـ من حيث يريد المدح ـ في صديقه أو في اللغة العربية في صورتها العتيقة التي يريد لها البقاء ، والتي لا يستطيع التضلّع منها سوى هذا العدد الضئيل جداً من الشعراء ، بينما هم عاجزون كلّ العجز عن مجاراة لغة عصرهم التي هي عربيةٌ في أصولها ، معاصرةٌ في مفرداتها وذَوْقِ التعبير بها ، قوميةٌ في صبغتها .

نمط الشعر

واذا كان من المستحسن بل من الواجب على الشاعر العصريّ الصادق أن يكون لسانَ بيئته في لغته ، فمن الواجب أيضاً أن يكون كذلك في نمط شعره ، وهذا يشمل الأسلوبَ والوزنَ والقافية [1]

(١) هذا مثال من شعر البحتري الذي لا يتفق وروح عصرنا الحاضر معنى وتركيبا ، واذ كان البحتري مضرب المثل القديم في طبعه الشعري وله أبيات

فأمّا عن الأسلوب فقد يُتّهم الشاعرُ أحياناً بسبب وفائه لبيئته بأنه من المتجرّدين ، ولكن لا يُلقي مثل هذه التهمة إلاّ المتقعّرون الذين لا يفهمون أو يتجاهلون الفرق بين التجريد والتجديد ، والذين يتوهّمون أنه من السلامة عدمُ التحرك ، ناسين أنّ سنةَ الكون المسيرُ الى مصير ، فلا بُدَّ من تقدُّمٍ أو تأخُّرٍ ، وأما الوقوف فمحال ! وليس التنويعُ في اللُّغة وليست الاضافةُ اليها من مادة عصرها مع المحافظة على المهمّ من قواعدها بما يفقدنا اللغة ، وانما هو هو الذي يجدّد شبابها ويزيدها قوةً ونروةً .

ومن أُدبائنا المحافظين مَنْ يعيب أُسلوباً عصرياً بأنّه أُوروبيٌّ كأنما هذا عيبٌ ، وكأنّما ثقافتنا الحاضرة ليست في روحها أُوروبيةً غالباً وإنْ بذلنا الجهدَ في « تمصيرها » ، ولو كانت هذه الثقافةُ يابانيةً أوهنديةً لوجب علينا أن نقتبس منها نظير ذلك لفائدة لغتنا وآدابها ، كما كان موقفُ السلف الصالح أمام الثقافةِ

شعرية خالدة :

ان الزمان زمان سو ... وجميع هذا الخلق بو
فاذا سألتهم ندى ... فجوابهم عن ذاك وي
لو يملكون الضوء لخلا ... لم يكن للخلق ضو
ذهب الكرام بأسرهم ... وبقى لنا ليت ولو

الفارسية وغيرها. هذا هو مذهبي، ولن يعني مطلقاً التقليدَ الأعمى لأيّ أدب أجنبي، فإنما وفائي راجع للأدب القوميّ وحده الذي قد تكيّفهُ عواملُ متنوّعة ليس الذنبُ ذنبي في وجودها، وإذا حلّتْ عوامل أخرى محلّ هذه العوامل كان من الواجب عليّ وعلى كلّ أديبٍ يريد أن يمثّل بيئتَه احترامَها، وأن لا يتصرف في أكثر من احلالها المحلّ القوميّ البارز في شعره حتى لا تبقى لها صفة جنبيةٌ.

ومن العجيب أن يوجد بين نبهاء أدبائنا من يردّد الدعوى القديمة عن جمال «الدوبيت» ورفعته، وأنه لا يقدر عليه إلاّ الشاعر المجيد المطبوع، بينما أوزان الدوبيت فارسية ولا تناسب لا الذوقَ العربي الأصيل ولا ذوقَ عصرنا الحاضر. وفي الوقت ذاته يُعاب اقتباسُ الشائق من أسلوب أووزنٍ أوروبي هو أكثر انطباقاً على نزعتنا العصرية. قال لنا الشاعرُ العربي من «الدوبيت»:

قد قدَّ مُهْجَتي غرامي ونَشَرْ والقلبُ هَلَكْ
مَنْ كانَ يراكْ قالَ ما أنتَ بَشَرْ بل أنت مَلَكْ

ويحدّثك العروضيون: «بأنّ وزن هذا الفنّ نُقل من الفارسية الى اللغة العربية، ولفظ دوبيت مركّبة من كلمتين معنى الأولى منهما اثنان، وثانيتهما هي بمعناها العربي، فلا يُقال منه إلا

بيتان بيتان في أيّ معنًى يُريده الناظم ، ولا يجوز فيه اللحن مطلقاً ، وله خمسة أنواع » .

ولعلّ أرقّ أنواعه — وجُلُّها في رأيي ثقيلةٌ على سمعنا — هو الرباعي المنطق السالف الذكر ، « ويُشترَط فيه أن يكون الشطر الأول من كلّ بيت كامل الوزن ، والثاني مركب من فعلنْ بسكون العين والنون وفعَلنْ بتحريك العين وسكون النون ، وأن يكون بين كل شطر وما تحته الجناس التام أو غيره » .

فليس هذا كما ترى بشعر الفطرة والوجدان ، وإنما هو من ضروب النظم الصناعي الذي وضعتْه صعوبتُهُ موضعَ الرّفعة المكذوبة ، ولا أدري ما فخري وقد نظمتُ عفو الخاطر هذا الدوبيت أثناء نقلي المثل السالف الذكر ، وإنْ ضمَّنتُ قولي حِساً صادقاً لا يخضع للصناعة اللفظية وليس فيه التسكينُ الاضطراري مجاراةً لهذا الوزن الفارسي :

كم ردَّ حيلتي زماني وقضَى ... والعُمْرُ ذَهَبْ

والغَبْنُ حسرتي بما منه مَضَى ... فالوقتُ ذَهَبْ

وشتان بين رفعة هذا «الدوبيت» المزعومة وبين بحور الشعر الأوروبي المنوّعة الجميلة التي يصحُّ لنا الاقتباس منها ، فانّ موسيقيتها

اللطيفة ليست مما يردُّه ذوقنا ، ونسقُها المنوَّع جديرٌ بأن يَسْتَرْعي التفاتنا .

وما يُقالُ عن الأسلوب الذي أفسده الالتزامُ والمحاكاة يُقال أيضاً عن التقيُّد دائماً بالقافية ، بينما أصبحت حياتُنا في جميع ضُروبها تأبى الالتزام .

ألا يوافقني القارئ المطَّلعُ على الشعر الانجليزي على أن التخلّي عن التزام الرويّ قد اكسب هذه القطعة الغنائية للشاعر الوجْداني الرقيق (و. ه. ديفيز : W. H. Davies) الذي يُعَدُّ الآن (شلي - Shelley) عصره :

Come, come, my love, the morning waits,
What magic now shall greet our sight !
What butterflies
Before our eyes
Shall vanish in the open light !

Come while the Sun has power to strike
Our household fires all dead and cold !
How softly now
The wind can blow -
When carrying off a field of gold !

Come, when behind some leafy hedge
We'll see a snow - white, new - born lamb
No man has set
His eyes on yet -
Where it lies sleeping near its dam.

Come , come , my love , the morniug waits ,
The Sun is high , the dew has gone !
The air's as bright
As though the light
Of twelve May mornings came in one .

ولهذا كانت الموشّحات في نظري أرقى كثيراً من القصيد المألوف ، ومن الدوبيت الأصيل ، ومن أنواع الشعر الصناعية المختلفة ، وسيكون للشعر المرسل متى بلغ نضوجه رقياً اسمى .

الخيال فى الشعر

ذكّرني الاشارة الى (شيلي) بما كان من سوء حظ ذلك الشاعر المبدع . فقد كان شجاعاً في آرائه ، جريئاً في خياله وتصويره يبغض التقليدَ الأعمى . فاعتبره أقرانه رجلاً شاذاً ملحداً وتعجبوا من دعواه الشعر ، وسمّوا أخيلته الجريئة سخفاً ، وانتهى الأمر بطرده من اكسفورد ، وختمت حياته الشقية بغرقه في مياه ايطاليا دون أن يقدّر شعرَه التقديرَ الوافي غيرُ قليلين جداً من الادباء بينهم صديقُهُ اللورد بيرون ، ولبث سوء حظّه الأدبي هكذا الى عهد قريب ، فاذا به يُنزَل منزلةً رفيعةً ، واذا بخياله يُفهَمُ الفهمَ الواجبَ ، واذا

بالادباء يأسفون على أنّهُ جاء قبل أوانه حينما الذّوقُ الفنّيُّ الشعريُّ لم يكن عظيماً .

عُرف (شبلي) بالخيال الشّرود الجريء ، ولكنّ شاعريته عُدَّتْ سَخَفًا بل جنونًا في عهده ، وبقيتْ هَدَفًا للقدح والازدراء حتى ارتقتْ دراسةُ الشّعر وحتى تبدّل الذوقُ الأدبي فأساغ شِعْرَه وأحبَّهُ فأجلَّهُ . والشاهدُ في ذلك أنّ الحكم العصري على شاعرٍ من الشعراء ليس بحكم نهائي دائمًا ، فانّ ما يستحسنه اليومُ قد يُقبّحُهُ الغدُ . وبدل حَمْل الحملات على شاعرٍ من الشعراء ، وبدل المغالاة في مديح آخر ، يجدر بنا أن نُعْنَى بدراسة الشعر ذاته وبترقية دراسته من الوجهة الفنّية ، وأن ننظر الى كلّ شعرٍ بنظرة التفتيش عن حسناته ، علّنا بذلك نقف على مزايا وحسنات كنا نمرُّ عليها في غيرِ التفاتٍ وقتَ تفتيشنا عن عُيُوبه .

إنّ الخيالَ خادمٌ للحقيقة وليست الحقيقةُ خادمةً للخيال ، وما ينقدُهُ بعضُ الجامدين من آثار الخيال الجوّال ليس سوى المكشوف من حقيقةٍ مخبوءةٍ عن الأذهان البليدة ، وما فلسفةُ الخيال السليم الاّ تصويرٌ وتحليلٌ لمحجّبٍ من حقائق الوجود . وبهذه المناسبة أضرب هذا المثلَ من شعر الاستاذ شوقي بك في ڤكتور هوجو

شيلي

شاعر انجلترا الوجداني العظيم

(١٧٩٢ م — ١٨٢٢ م)

الذي شبَّهه شوقي بك بالسيد المسيح إكباراً لتعاليمه وتعظيماً لقدره الأدبي. قال:

لولا التُّقى لفتحتُ قبرَك للملا
وسألتُ: «أين السيّدُ المقبور؟!»
ولقلتُ: «ياقوم انظروا انجيلكم
هل فيه من قلم الفقيدِ سطورُ؟!»

فاستخدم بجرأةِ خياله لتصوير منزلة ذلك الأديب الفرنسي النابغة هذا التصويرَ الغريبَ، ولو عالج شاعرٌ مبتدئ هذا النمط لتعثر، فما فتح القبور بالأمر الطيب الذي يُبنى عليه مدح .... ومع ذلك فلم يقل قائل إنّ هذا الخيال من «الاغراق الثقيل على النفوس والغلوّ البغيض الى العقول السليمة». ولعل أمثلة الخيال في شعر مطران أجرأ منها في شعر شوقي، كما أنّها في شعر شوقي أجرأ منها في شعر حافظ. وطالما كان الخيالُ وسيلةً للتصوير لا غايةً مفسدةً للحقائق فانه من رُوح الشعر، وان يعيبه الاّ من لا يفهمون عن طبعٍ في النفس ما هو روحُ الشعر، وكلُّ حديثهم التشطير والتخميسُ والجناسُ وحسنُ التخلُّص وما أشبه ذلك .... ويعجبني قولُ شوقي بك: «الشعرُ ليس من حاجيات العمران المادي الذي

تتوقف عليه سعادةُ الانسان في هذه الحياة الدنيا ، ولكنه من كماليات العمران الأدبي الذي تسأم النفسُ عنده الحقيقة المجسَّدة والمادة المجرَّدة ، وتميل في بعض أوقاتها الى التنقُّل بشعورها من عالم الى آخر ، ومن فضاء الى سواه ، ولعلّ هذه هي الحكمة في كون الشعراء قليلاً عديدهم في كلّ زمانٍ ومكانٍ ، لا تُعْطى الامم منهم الاّ بقدر حاجتها اليهم » .

وما أشكُّ في أنَّ السرَّ الحقيقيَّ في بخْسِ الخيال حقَّهُ من التَّقدير راجعٌ الى أنَّ اولئك الذين يطلبون الى الشاعر أن يقدح ذهنَه في إخراج شعرٍ فنّيٍّ جديدِ الموضوع بعيدِ الأثر يشقُّ عليهم أنفسهم التأمُّلُ في شعرهِ ومشاركتُهُ عواطفَه ونظراتِهِ ، ويؤثرون أن يفهموا أدقَّ الشعر تصويراً وأسماه خيالاً وأبعدَهُ غايةً وهم غافلون أو نيام . . . ! !

النقد الادبى

كتبتُ هذه السُّطورَ المتقدّمة كدليلٍ عامٍ لمذهبي في النقد الادبي ، وكمرشدٍ لمعاني التجديد الذي أرمي اليه .

وللأسف الوافر يوجد بين الادباء من يعتبر «النقد» مرادفاً

« للطعن » فيأباه اباءً ، واذا سألك المعاونةَ الادبيةَ فانما يطلب اليك في غير خجل أن تعطيه كلمة « تقريظ » ، وما النقدُ الادبي إلاّ فنٌّ شريف دقيقٌ له قواعد وأصول، والغرضُ منه اظهار محاسن الكلام وعيوبه حسب نظرات الناقد . وبديهيٌّ أنّ نظرات النقّاد قد تختلف جدَّ الاختلاف ، وهذا في ذاته حسنٌ لأنّنا نريد بالنقد الحصول على محصولٍ أدبي طيب من مختلفة العقول . واذاً فلنشجّعْ النقدَ ، واذاً فليكنْ النقدُ قاصراً على وظيفته الادبية الشريفة في كياسةٍ ورجاحةٍ وكرامةٍ . وأما اذا أصبح النقدُ آلةً للتشهير والتجريح والتهكّم وتثبيط الهمم ومحاربة الجهود لمجرّد الخلاف المذهبي أو التباين النظري ، فانه يفقد فوراً صفتَه الشريفة كفنٍّ أدبيٍّ ويكون هو وصاحبه الجديرين في نظرنا بالسُّخرية والتحقير .

انّ شعارَ النهضة الاوربية الحاضرة هو التعاونُ في كلّ شيء حتى في العلميّات والأدبيّات ، فتسمع الآن بأبحاث الجماعة « team research » وتهزُّك أخبارُ التساند الفكريّ بين أدباء الغرب وعلمائه الذين لهم من الجمعيات والاندية الثابتة بقدر ما لنا من مظاهر التفكّك والخذلان والتحاسد . فلنحاولْ التشبُّهَ بهذه النهضة الفكرية ولنحذُ حذْوَهم في فهم معنى النقد الأدبي وتطبيقه

حتى تنتعشَ الحركةُ الفكريةُ في موطننا الانتعاشَ المنشود .

إنَّ أسمى وظيفةٍ للنقد الأدبي هي محاولةُ كلِّ فريق ان يجتذب غيرَه الى مذهبه وآرائه ، فهو من مقوّيات الصداقة الأدبية، كما انه من أسباب الشجاعة الأدبية ، ولكن يجب أن لا يكون في وقت ما من مظاهر المحاباة ولا من وسائل التغرير ولا سيما بالادباء الناشئين .

وكما كنتُ دائماً فاني ما زلتُ من يُرحّب بالنقد الأدبي السليم ومن يحبّر هذه السطور اكراماً لمنزلته ، فهو من أقوى العوامل لتذيب الذوق الأدبي ، ومن خير البواعث الداعية الى الانتاج ومن مظاهر النشاط الأدبي الذي نعمل جُهْدَنا لاستبقائه بل لنموّه المطّرد . ولن يضير أيَّ أديبٍ نقدُهُ ، فليس كلُّ نقدٍ صواباً ، وما كان الأديبُ مُلزَماً حتماً باتباع النقد ، وانما عليه أن يسترشد به في نقد نفسه بنفسه ، وفي كبح جماح نزواته ، وله بعد ذلك حرية الرأي في اتباع ما يقرُّهُ عليه ضميرُهُ وعواطفهُ وذوقهُ من صوابٍ يُؤمنُ به .

أحمد زكي أبو شادي

كلمة ختامية

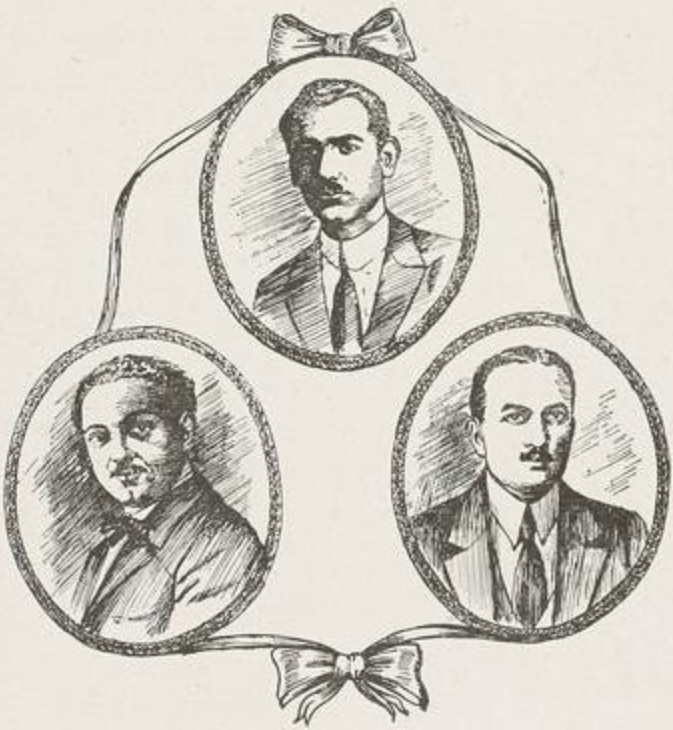

الدكتور أبو شادي　　الاستاذ جاماتي　　الاستاذ عنايت

شعر الحياة

بقلم الاستاذ الفنّان عنايت الله ابراهيم

مصوّر قصة مرها

(والاستاذ الرسم بمدرسة المعلمين الاولية ببني سويف)

لمّا عرض عليّ الصديقُ الأديبُ الغيورُ حامد أفندي الألفي نيابةً عن الاستاذ الدكتور ابي شادي تصويرَ قصةِ (مرها) لم أتردد في تلبية هذه الدعوة الفنّية الكريمة ، فانّ للدكتور أبي شادي في نفسي مكانةً عاليةً ، وأنا أشدو دائما وفي كل مجال بنفسيته الطاهرة الأبيّة الوثّابة ، وبشعره الرقيق الجذّاب ، وبودّي أن تمكنّني الظروف لأن أقوم بكلّ خدمةٍ فنيةٍ يطلبها إليّ إظهاراً لشعوري نحوه ، ولتقديري العظيم لأدبه الرائع . بل وأعدُّ من البلاهة أن لا يلبّي مثلي دعوةَ هذا الفنّي الحاذق لاصطحابه في جولتِهِ في عالم الخيال فيشهدُ كلَّ ما يستوقف نظرَ شاعرنا وما يستهويه ، ويسجّله

في صُوَرٍ يراها الناسُ بعيونهم بعد أن تتجلّى لهم بالسماع ، كما أغبط أصدقاءه الأُدباء الكثيرين الذين تُتاح لهم فُرَصُ الاجتماع به ، والتضافر معه ، والتسابق لنشر مآثره القيّمة الخالدة .

أضِفْ الى ذلك أني كنتُ في بلاد العرب وفي (العقبة) نفسها يوم وقعت في يد الجيش الانجليزي وزحف عليها العَرَبُ برًّا ، وكان الاميرُ (فيصل) جاعلَها مركز القيادة . وقد عاشرتُ القبائلَ هناك ، ورأيت معظم القبائل وبينها قبيلة (الحويطات) . ولذلك صادفتْ قصةُ الدكتور الفاضل هوًى في نفسي ، و ذكّرتني بأيام قضيتها في العقبة .

وفوق ذلك فهذه قصةٌ انسانية شريفةُ المغزى بعيدةُ المرمى ، وشِعْرُها هو شعرُ الحياة الحلوة المرة ، فما يرضيني أن يكون لي بعضُ الاثر في إذاعتها وأن أتضافر والاستاذ الكاتب المجيد حبيب جاماتي وشاعرنا العبقري الكبير على تجسيم عظاتها أمام القارئين ، وامام المصلحين المفكرين .

واني لمغتبط لعناية محفل (البدر المنير) الموقر بنشرها « نُصرةً للأدب، وخدمةً للفضيلة والانسانية ، وتطبيقاً للمباديء الماسونية العامة الشريفة » كما ورد في ديباجتها ، فانَّ خدمةَ الأدب وتهذيبَ الخلق الانساني من أشرف ما يجدر بالمحافل الماسونية ، أن تتجه اليه جهودُها ، مادامت الماسونية العصرية هي بنايةُ الانسانية المهذَّبة وتخفيف ويلات البشر كما أفهم منها .

لقد انقضى زمنُ التقليدِ النظميّ والولوع بالبديعياتِ والألفاظ الرنانة الجوفاء ونظم المدائح والتهاني والمراثي الكاذبة والأوصاف المملّة السخيفة والهذر والمجون والنظم السياسي المجرَّد ، كما انقضى الزمنُ الذى كان الناظمُ فيه يعتزُّ بالجاه والمال قبل الشعور الصادق ، وأشرفنا على عصر الفكر الصحيح ، والفنّ الجميل ، والخلق المتين ـ عصر العلم والفلسفة الرشيدة ، والمطلب الأسمى ، والتعاون الاكمل . وما ارتياحُ مثلي وجهده في ميدان الأدب والفنّ ـ وانْ كان

جُهدَ المقلّ - الا رمز التقدير لمثل شاعرنا النابغة الكبير الفؤاد الذي يَهبُ في شعره قِطعاً شائقةً من روحه الوثّابة ووجدانه النقيّ ، ومُثُلاً من الحياة الحرّة التي يعشقها كلُّ من تذوّقَ جمالَ الفنّ .

وانه لفرضٌ على أهل الفنون الجميلة التعاونُ على خدمة مبادئهم المشتركة ، وانه لواجبٌ على اخواني الأفاضل المصوّرين الفنّيين أن يُعاونوا شعراءنا المجدّدين القادرين على اظهار آثارهم الجميلة في أبدع حُلةٍ ، ولا سيما تلك الآثار الحية التي تزدان بمثل هذا الشعر الثمين - شعر الحياة والوجدان والشرف المكين ؟

عنايت الله ابراهيم

فهرس

صفحة

٣ **توطئة**

٣ أصلُ القصة

٤ الشاعرُ والموضوعُ الشعري

٤ شعر الانسانية

٥ **الوصفُ النثري**

٧ العقبةُ وحصنها

٧—٨ معسكر العقبة أثناء الحرب

٨ الكابتن (جريفز)

٨ قبيلة (الحويطات)

٩ (مها)

٩ تعارف (مها) و (جريفز)

٩—١١ الحب . . .

١١ (جريفز) ووالد (مها)

صفحة

١٢-١٤ الخيبة واليأس
١٥ الفرار
١٦ المطاردة
١٦ جبل الموت
١٦-١٨ الفاجعة

١٩ الوصف الشعري

٢١-٢٦ النشيد الأول
٢٧-٣٦ النشيد الثاني
٣٧-٤٤ النشيد الثالث
٤٥-٥٢ النشيد الرابع
٥٣-٥٦ النشيد الخامس

٥٧ نظرات وملاحظات

٥٩-٦٠ موضوع القصة
٦٠-٦٢ نظم القصة
٦٢-٧٣ أمثلة من الوصف والبيان

صفحة

٦٣ المرأة
٦٣-٦٤ ثغر العقبة
٦٤ وصف نمو الحبّ
٦٥ تكتّم الحبّ والاباحة به
٦٦ نُصح الهوى
٦٦ الشقيُّ المتحر
٦٧ ظُلامة التقاليد
٦٧ التفاني بالحبّ
٦٨ دنيا الحبّ
٦٨ نذير الموت
٦٨ الموت المحتمل
٦٩ رواية الفاجعة
٧٠ مَشْهدُ جبلٍ مُحرق
٧٠ نَزْع المحبّ ولهفة العاشقة
٧١ حُكم المستبدين بيناتهم
٧٢ العواطف المُمْلية

صفحة

٧٣ـ٧٦ فَهْمُ الشّعر
٧٧ـ٨٠ لغة الشّعر
٨٠ـ٨٥ نَمَطُ الشّعر
٨٥ـ٨٨ الخيال في الشّعر
٨٨ـ٩٠ النقدُ الادبيّ

٩١ **كلمة ختامية**

٩٣ شِعرُ الحياة
٩٥ الماسونيةُ والأدب
٩٥ عصرُ الفكر
٩٦ تعاونُ أهلِ الفنون

إحسان

مأساة مصرية تلحينية

من نظم الاستاذ

الدكتور أحمد زكي أبي شادي

أول اوبرا عصرية من نوعها

تحت الطبع ، وتُطلب عند صدورها من المطبعة السلفية بالقاهرة

الفجر

صحيفة الهدم والبناء

يديرُ هذه الصحيفةَ الأدبيةَ الراقيةَ ويتولى رئاسةَ تحريرها

الاستاذُ المجدّدُ القديرُ احمد خيري سعيد بمعاونة طائفة من رجال المدرسة الحديثة الغيورين على حرمة الأدب المصريّ . فاذا قرأتها أمتعتَ ذهنك بنخب من القصص والشعر والنثر الحديث في خيرة المواضع الاجتماعية والأدبية والنقدية .

قيمةُ الاشتراك ستون قرشاً مصرياً في السنة ، تدفع مقدّماً . وادارة الجريدة بأول شارع الفلكي بميدان الأزهار بالقاهرة .

مكتبة الجيب

الحديقة

مجموعةُ أدبٍ بارع وحكمةٍ بليغةٍ وتهذيبٍ قوميٍّ

تأليف

محب الدين الخطيب

ثلاثة أجزاء فيها ٨٥٠ صفحة

تطلب من

المطبعة السلفية - ومكتبتها

ثمنها ١٥ قرشاً

الشفق الباكي

نظيم من شؤون وعواطف

بقلم

الدكتور أحمد زكي أبي شادي

على وشك الصدور في حجم كبير ومظهر جميل

الثمن الآن ١٥ قرشاً مصرياً ، وبعد النشر ٢٠ قرشاً

واجرة البريد قرشان

ويدفع الاشتراك الى المطبعة السلفية

بشارع الاستئناف بجوار المحافظة بالقاهرة

رُوح الماسُونيّة

وآمالُ الإنسانيّة

خُطبةٌ ماسونيةٌ جامعةٌ للاستاذ الدكتور أبي شادي، تشوق الماسونيين والجمهور على السواء، نظراً لما تضمنته من المعلومات التاريخية والشرح المفيد والنظرات الادبية والفلسفية.

ثمن العدد خمسون مليما، واجرة البريد نصف قرش

ونطلب من المكاتب الشهيرة ومن

محفل البدر المنير الموقر

بيور سعيد — صندوق البريد رقم ٢٨٩

الأدب الجديد

وكلمات في الشعر والشاعر

من تأليف وجمع

حسن صالح الجداوي

للمطبعة السلفية ـ ١٠٨ صفحة ٥ الثمن ثلاثون مليما

« ... بعبارة بليغة جزلة المعاني ، وحجج دامغة بعيدة عن مواطن الضعف » ـ عن مجلة « فتاة الشرق »

من علامات النهوض الأدبي بل الاجتماعي أيضاً حُبُّ التجديد في غير تجرُّدٍ من المشخّصات القومية الصحيحة التي توافق النهضةَ الفكريّةَ العصرية .

وقد جمع هذا الكتابُ طائفةً من الابحاث والملاحظات النقدية الادبية عن الأدب العصري ، وفلسفة الشّعر والشاعر ، وهدم الأدب وبنائه ، بما يوافق ذوقَ العصر ومُتّجهَ تيّاره الفكري ، كما جمع شيئاً من الرّوادع التحليلية لفوضى النقد الأدبيّ

الذائعة حيث يقوم التجريحُ والتشهيرُ والمغالطةُ مقامَ النقدِ النزيهِ البريء !

فالكتابُ محاولةٌ جدّيةٌ لتعريف الادب الجديد عامةً والشعر الحديث خاصةً ونشر روحه الفنية ، قضاءً على دكتاتورية الرجعيين والجامدين والأنانيين الذين يحاربون كلَّ جديدٍ بالتحامل والتشويه البغيض ، ويريدون أن يتحكموا في الحاضر والمستقبل كما تحكموا في ماضي الأدب وجنوا بجمودهم وسفسطتهم عليه شرَّ جناية .

اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب

بقلم

محب الدين الخطيب

بحثٌ تاريخي في الهجرات العربية منذ ستة آلاف سنة
الى العراق والشام خاصة ، والبلاد الساميةً عامة
وفي ان أصل الكلدانيين والفينيقيين من العرب
وهو بحث طريف ، وتحقيق جليل
لايجده القارىء مجتمعاً في كتاب عربى آخر
في ٧٢ صفحة ثمنه ٣ قروش

عبده بك

قصة مصرية اجتماعية

المطبعة السلفية ٥ ١٠٩ صفحة ٥ ثلاثون مليما

أمثلة من آراء الكتاب والصحف

نشرت جريدة (البلاغ) الغراء هذه الملاحظات والنقد في « صفحة الفنون والآداب » من قلم الاستاذ الدكتور أبي طائلة :

« ظل الادب العربي محصوراً في وجوه معدودة من المدح والوصف والغزل ومن الرثاء والتفاخر والهجاء ، وكان كل شاعر وناثر يأتي فيقتفي أثر سلفه وانما تتغير الالفاظ مع بقاء المعنى ، فاذا تغير المعنى أيضا مع أنواع التشبيه والمجاز ، لم يتغير الموضوع والمجال ، حتى لكأن الشعراء كلهم شاعر واحد ، وكأن دواوينهم العديدة قصائد مختلفة له !

وجاء العصر الحديث بأحواله الجديدة وظروفه المستحدثة ، فكان يرتقب منه أن يوحي للشعراء والكتاب بأفكار غير أفكار آبائهم ، وأن ينتقل بهم الى نواح لم يطرقها الاولون . ولكن على الرغم من هذا العصر الحديث ومن اختلاطنا بالغربيين واطلاعنا على آدابهم ، لا يزال أكثر الادباء محدودة أذهانهم بحدود العصر السابق ، فاذا كتبوا ونظموا ففي المدح والهجاء والرثاء

والوصف والغزل ، حتى ان أحدهم لينسى نفسه وعصره والامة التي يكتب لها ، فيأتي بتشبيهات وحشية ، وعبارات بدوية ، ويخاطب حادي الابل ، ويناجي البدو في الصحراء ، مما كان يليق بوقت سابق نخطيناه بألف من السنين . ومن هؤلاء الادباء الذين يعيشون بأجسامهم معنا وبأذهانهم مع ابائنا بل أجدادنا الاقدمين من تنسب لهم امارة الشعر في هذا العصر، وقيادة أعنة البيان ، وغير ذلك من الاسماء والالقاب . وقد نرى عدد الادباء يزيد كل عام أو كل يوم ، ونرى دواوينهم ومؤلفاتهم تتكدس في المكاتب أو في المنازل ، فنعجب بعد ذلك كيف تضيع هذه الجهود عبثا ولا يؤثر هذا القدر الهائل من الادب أي تأثير في الشعب ! ولكنا نعود فنذكر أن هؤلاء الادباء لا يكتبون لنا ، وان قراءهم الذين يفهمونهم قد فارقوا الحياة منذ قرون عديدة ، وان تلك الدواوين والمؤلفات أجدر بها أن تبعث بين القبور !

كذلك شأن ادبائنا ، بينما ادباء الغرب لهم أكبر الاثر في شعوبهم وفي نفسيتها وطريقة تفكيرها ، حتى ان أحدهم ليخلق امته خلقا جديدا . وما كان تمكنهم أن يبلغوا ذلك لولا أنهم يكتبون باللغة التي يفهمها قراؤهم، ويمثلون لهم ما يرونه ويلمسونه ، وبلفظ آخر يعيشون معهم لا مع آبائهم . ولعل أول ما يساعد الاديب على التأثير في قومه التجاؤه الى القصص ، وبث فكرته أو نظريته في قصة يضعها، فتكون تلك الفكرة أو النظرية حياة ماثلة أمام القراء والنظارة . وقد صار القصص عماد الادب في الغرب ، حتى كاد يكون مرادفا له ، وكاد الكاتب لا يعد أديبا اذا لم تكن له روايات تقرأ وتمثل.

ولكن أدباء مصر لم يوشكوا يطرقون باب القصص ، ولم يعلموا بعد أنه هو الذي يؤثر في النفس أكبر تأثير ، وينقل الفكرة من قلب الاديب الى قلب القاريء والناظر دون واسطة ودون جهد . وهم مشغولون عن هذا الضرب من الكتابة ، بل عن هذا البيت الذي يسكنه الادب كله على اختلاف أشكاله في الغرب ، مشغولون بأبواب المدح والهجاء وما أشبه !

تلك مقدمة لازمة قبل أن نبحث قصة (عبده بك) التي وضعها الاديب المجدد الدكتور احمد زكي ابو شادي ، فقد خالف بها الادباء ونهج منهجا

جديدا لم ينهجوه ، ونكاد نقول انه بمثل هذه القصة يفتح فتحا جديدا في الادب العربي ، ويرقى به الى مستوى أخيه في الغرب ، حتى يكون له مثل شأنه ومثل تأثيره .

لم يكتب الدكتور ابو شادي في المدح والهجاء ، وفي التهنئة والرثاء ، ولم « ينظم » الالفاظ لتؤدي نفس المعاني التي بالقصائد الحديثة والقديمة كما يفعل الشعراء ، أميرهم وصعلوكهم .... ولكنه كتب للشعب الذي يعيش معه وفي موضوع نشهده كل يوم وبلغة يفهمها الجميع ، فحق لكتابه أن يكون له اثر في النفسية العامة ، وحق لهذا الضرب الجديد من الكتابة ان يقارن بالادب في الغرب .

وكان في قدرة الدكتور أبي شادي حين ساءته احوالنا وعاداتنا الاجتماعية وأراد أن يعالجها ، ان يختار الطريق الاسهل عليه وينظم قصيدة طويلة كما يفعل غيره يبدؤها بالغزل ويشكو غرامه الى حادي البيد أو غيره ... ثم ينتقل — وما أدري كيف ... — الى الموضوع الذي يعالجه ، ويذكر عيوب الزواج وعقم طريقته ، ويبكي بهذه المناسبة ويثير البكاء ...

كان في قدرة الدكتور ابي شادي أن يفعل ذلك ، فتضم قصيدة جديدة الى القصائد التي لاتعد والتي تركها الشعراء الاقدمون وجاء الشعراء الحديثون يغيرون الفاظها ليغيروا أسماء قائليها ... ولكنه لم يفعل ، وسما بقلمه عن هذا العبث ، وبرأ بنفسه عن هذا التقليد العقيم ، وخرج من الجمود الذي لازم الادب العربي هذه العصور الطويلة والذي يأبى أدباء العصر الا ان يطيلوا أجله عهدا آخر ! ووضع قصة لا قصيدة ، وضمنها عيوب الزواج وطرق اصلاحه ، وجعل ذلك صورة حية أمام الانظار جديرة بأن تنتج الاثر الذي يريده وتثمر الثمر المقصود . واذ أطلق الكاتب نفسه من قيود الادب العتيقة ، ولجأ الى القصص بدل النظم المجرد ، والحكاية المملة ، فقد أطلق نفسه أيضا من قيود القافية وجعل كل بيتين من قصته الطويلة من قافية ، وان كان البحر واحدا في الجميع ، فكان ذلك منه ابتكارا آخر وفتحا ثانيا في عالم الشعر والادب .

أما موضوع القصة فاجتماعي عصري وسهل غاية السهولة . وهو ان شابا ـ عبده بك ـ كريم الخلق ولكنه سهل القياد حثته أمه على الزواج ، فتزوج ولكن بالطريقة السخيفة المتبعة وبواسطة « الخاطبة » وجاءته زوج لايوافق طبعها طبعه ، ولايتفق لؤمها وهياجها مع صفاء سريرته وهدوئه ، وما لبثا أن افترقا بالطلاق ولكن بعد ان أولدها ولدا تبعها وصار أبوه معذبا لبعده . وكائما شاء (عبده بك) أن ينسى همومه وأحزانه فاندفع في اللهو والشراب ، وكان ذلك سبيلا لان يعرف غانية من بنات اللهو تدعى (ماري) وجعل ينفق عليها المال الطائل حتى خدعته وتزوج منها ، فاذا بها تذهب وداعتها وتتحكم فيه وتكاد تفقده بقية ماله الموروث ، وهي في كل ذلك تستهتر ماحلا لها الاستهتار وتخون زوجها مع القريب والبعيد . وما لبث (عبده بك) أن طلقها أيضا ، ثم جمعته المصادفات برجل شهم يدعى (فريدا) فتصادقا وهدى (فريد) صديقه الى الرشد واستثمر له بقية أمواله فضاعفها . وكان لفريد أخت تسمى (فريدة) جمعت حسن الخلق الى كرم الخلق فاتصل بها (عبده بك) اثناء زياراته لصديقه ، ثم بنى بها أخيرا بعد ان وحد الحب بين قلبيهما وبعد ان اتفقت طباعها وطباعه .

تلك هي القصة بجملة ويدرك القارىء منها ان كاتبها ينقد عيوب الزواج ، ويسفه طريقة الوساطة فيه ، ويبين ضرر الزواج بامرأة لايعرفها الشخص ، ثم مصيبة الزواج بابنة من بنات اللهو . ويصل أخيرا الى العلاج الذي يراه وهو التعارف والاتصال بين الشاب والآنسة قبل الزواج ولكن في دائرة محدودة ، وبعد الوثوق من شرف الشاب وأمانته .

وقد يعجب البعض لسهولة هذه القصة اذ اعتاد المصريون « المفاجآت » والغرائب في القصص . وهنا نذكر ان معظم الروايات من نوع « الاوبرا » تحوي مواضيع سهلة للغاية ، وان المذهب الحديث ـ الريالست ـ انما يعنى بالامور الواقعة ويصورها كما هي في الكتابة وفوق المسرح . ولقد شهدت للشاعر الالماني الكبير (زودمان) روايات عديدة في المسارح الالمانية فلم يكن باحداها شيء يختلف عما يشاهده الانسان في الحياة اليومية العادية . ولكن يقول

أصحاب ذلك المذهب الجديد ان اظهار الامور الواقعة على حقيقتها لها أثر أكبر من الخيال ومن ادعاء مالا يمكن تحقيقه .

ولا نختم هذا الموضوع قبل ان نأتي ببعض ابيات من قصة (عبده بك) كمثال لعذوبة اللفظ وسهولة فهم المعاني الكبيرة التي تحتويها :

ان الوراثة ليس تصلحها العلوم ولا الجلالة

ومنها : والطهر للمرأة تاج كم يعلي قدرها
فخر ولكن بالفشور وانما العيش اللباب
وكذاك مدرسة الحياة تعد للعلياء باب

ومنها في وصف الحديث بين أم الشاب والخاطبة :

فاذا الحديث كانه نقل وفاكهة وراح
أو ليس مشتقا من النعمى ومن وصف الملاح ؟!

والخلاصة ان قصة (عبده بك) مثال لما يجب ان يكون عليه الادب الحديث ولما يجب ان يتجه اليه الادباء »

* * *

وكتب صاحب العزة الاستاذ عمر بك محمد المفتش بوزارة المعارف المصرية :

« .... ومما لا شك فيه اني سأستفيد فائدة عظمى من قراءتها واكتساب ما اشتملت عليه من المعاني السامية والاسلوب الجذاب . واني أسأل الله تعالى أن يمدكم بروح منه ويعينكم على ما اعتزمتموه من انارة الافكار وتلطيف الشعور » .

* * *

وقالت جريدة (لسان الشعب) التونسية :

حمل لنا بريد الشرق تحفة من التحف الثمينة وهي مجموعة أدبية تحت عنوان (عبده بك) ، وتحتوي هذه المجموعة على قصة اجتماعية مصرية من نظم الشاعر الاجتماعي الاستاذ الدكتور احمد زكي ابي شادي ، مصدرة بمقدمة للناشر الاديب البارع السيد حسن صالح الجداوي منشيء صحيفة (السويس

الناهضة) ثم مقالة عنوانها (القصص في الادب العربي) بقلم الكاتب العبقري المجدد الاستاذ عبد القادر عاشور ، ثم نقد وملاحظات وتحليل القصة بقلم الاديب المتفنن الاستاذ عبد الله بكري ، ويحتوي هذا التحليل على : الشعر القصصي والحاجة اليه ـ نمط القصيدة ـ الموضوع وقيمته ـ ملاحظات ـ ثم فصول أخرى كثيرة ، منها (نقد قدامة) و (شاعرية ابي شادي) و (أمثلة لأبيات جامعة) و (صدق الشاعرية) و (الشعر مرآة عصره) بقلم الناشر. وبالجملة فهذه المجموعة من أنفس المطبوعات المصرية ، ونحن نشكر الناشر الفاضل على اجتهاده ونشره لكل مافيه فائدة ، ونثني على المؤلف البارع ، ونحث العموم على اقتناء هذا المجموع . وهو يطلب من ناشره السيد حسن صالح الجداوي بسكرتارية عميد كلية الحقوق بالجيزة ، أو من المطبعة السلفية بشارع الاستئناف بجوار المحافظة بباب الخلق بالقاهرة ، وثمن النسخة ثلاثة غروش ».

* * *

وكتب الشاعر الناثر الاستاذ على محمد الالفي بعنوان « قصة عبده بك — نقد وملاحظات » هذه الكلمة في صحيفة (كوكب الشرق) الغراء :

« الاستاذ الضليع الدكتور احمد زكي ابي شادي بين كتاب العربية في شتى الانحاء مقام جليل عظيم ، وأحسب انه قد نجح نجاحا غير محدود في اجتذاب نفوس من يهتمون بقراءة آثار قلمه سواء منهم من رضي عنه أو سخط . فينا تجد بين قراء شعر الدكتور المنكر لما يجري به قلمه من تصرف في أوزان الشعر المألوفة ، وابتكار في الاسلوب الانشائي وتوسع في استخدام بعض الاقيسة على خلاف ما انطلقت به ألسنة العرب مما نبأت به الموسوعات العربية ، اذ بك تجد ذلك المنكر الساخط لا يكاد يقدر على ضبط أجزاء جسمه من الاهتزاز طربا وابتهاجا بمعنى سحري يملأ السمع والبصر ويتمشى في سائر الحواس من المعاني التي لا تخلو منها قصيدة من قصائد أبي شادي .

لذلك استوى في تقديره حق قدره أنصاره وشانئوه ، واتفقت كلمة الجميع

على انه شاعر عبقري يفيض جنانه بالحكمة فينطلق بها لسانه في قالب شعري تتسلل معانيه الرائعة الى اعماق النفس ، وتنبه جاذبيته اللذيذة كامن الاحساس.

وقد وصفه جمهور عظيم من الناس بانه يذهب مذهب التجديد في اللغة ويرمي الى التخلص من القيود والاغلال التي لازمت قوافي الشعر وأوزانه فظلت أسيرتها الى الآن .

ويقيني ان الدكتور من اوفر الادباء حظا في هذا الزمان ؛ لانه قلما اتفق لاديب مثل ما اتفق له من حسن استقبال الناس لما يجود به قلمه — على اختلاف آرائهم في شعره من حيث الايمان بمبدأ التجديد في اللغة والشعر .

* * *

وموضوعنا الذي اردنا أن نتحدث الى القراء به هو قصة (عبده بك) تلك القصة الخالدة التي قدمها الدكتور أخيراً الى قرائه فصادفت اعجابا لاحد له ، وأثارت عند الادباء ثائرة النقد والتقريظ والملاحظة ، فامتلأت اعمدة الصحف بمختلف الابحاث في مختلف فنون الادب ، وبرز الى ميدان المناقشة كل غيور على الادب حفيظ على اللغة ، فكان نشاطا بديعا حدت الامة ظروفه وشكرت آثاره.

وهذه القصة تمثل ناحية من نواحي الاخلاق المصرية البحتة ، وتتحدث عن بعض عاداتنا الاجتماعية التي تجلب الآلام والبؤس ، وتبدل من صفو الاسرة تعاسة وشقاء ، وتضع العوائق في سبيل السعادة الزوجية والحياة العائلية.

هذا هو بالاختصار موضوع القصة التي احدث القراء عنها ، ولا شك ان قارئها سيجد عند قراءتها أنه ماخوذ بظاهرة سحرية لذيذة هي روح الاستاذ الشاعر التي تحلق دائما في سماء الخيال الرائع ، فتملأ ذهنية القاريء بالخيالات الممتعة والمعاني اللذيذة.

* * *

ولنترك الآن جانبا وصف القصة — من حيث رقة الاسلوب ودقة المعنى — لنتحدث قليلا عما احتوته من العظة والعبرة فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية:

ضرب لنا الدكتور مثلا في الزواج بالواسطة فبين أنه اكثر ما يكون شؤما على الحياة

العائلية ، وسبيلا الى شقاء الزوجين وعذاب البنين ، وماظنك بزيجة تعقد صفقتها على يد (خاطبة) لا هم لها الا أن تصل الى الجمع بين عائلتين لها عند كل منهما مصالح ومنافع !؟ أليست تفعل المستحيل لتفوز بالحسنيين وتغنم سمسرة الخطبتين ! ؟ هذا ما فعلته (الحاجة حليمة) الدلالة عندما زينت (لعبده بك) خطبة (منيرة) ... ! واذ كانت الرعونة والطيش والاعتداد بالشهرة والغنى هي كل مايشغل لب (منيرة) فليس من شك في أن الفتى المسكين (عبده بك) قد ابتلي بكارثة أليمة كان الطلاق أول وآخر دواء لها ... ولكنه دواء مر قتال ، بل هو شقاء جديد لازم اسرة (عبده بك) حتى توفيت امه فريسة الغم . وذهبت ثروته بين أيدي سماسرة المحاكم وتحت ارجل عشراء السوء وخلطاء الشر .

ومن هنا تبدأ حياة جديدة لصاحبنا (عبده بك) ... ذلك الشاب الوديع الاخلاق الكريم المنبت ، فتكتنفه بيوت الهوى ، وتحتويه اماكن اللهو ، ثم هو لا يستطيع ان يخرج منها الا مثقلا بمتاعب أشد هولا ومصائب افدح خطبا مما لحقه من زيجته الاولى . ذلك أنه ولع بحب خليلة اوربية فاقتن بها وتزوج منها ، ثم لم يكن الا عشية او ضحاها حتى اذاقته من ويل الحياة صنوفا ، ومن شقاء العمر الوانا ، وعاودتها سيرتها الاولى فاسرفت في التهتك واوغلت في الفجور حتى جلبت على سمعته شر الحديث ، وتحدث الناس عن استهتاره بأفظع عبارات التجريح ، وخاضوا في عرضه بالتلميح والتصريح ، واستغلت طليقته هذه الحال فامعنت في الايذاء اليه ، والتقول عليه ، حتى ود لو انه لقي الموت فاستسلم اليه !

ثم صحا صحوة الاثيم النادم ، فاستجمع شارد لبه ، واستذكر سابق اثمه ، فاعتزم ان يخلص من عار يكاد يسحق قلبه ويمزق احشاءه ، فكان موفق السعي مسدد الرأي : وما كان أسعدها عزمة تلك التي جددت في نفسه خصال الشرف وأنبتت عواطف الفضيلة وقادته الى مصادقة انسان كان لا لامه ملاطفا ، ولجراح نفسه مخففا ، فلازمه ملازمة الظل ، واخلص له الود ، وجعله واحدا من أهل بيته ، وجزءا من نفسه .

هذا الصديق الكريم هو (فريد) ، والحق ان فريدا هذا قد بعث في نفس (عبده بك) الحياة من جديد ، وان اختلاط هذا الاخير بالعائلة وامتزاجه بأفرادها جعله يتمكن من اختيار الزوجة الصالحة من بين هذه العائلة .

فتزوج من (فريدة) اخت (فريد) ، وكانت الزيجة الختامية هي آخر ماانتهت اليه التجربة ، واسلم الطرق وانجحها في حسن اختيار الزوجة.

هذه ادوار ثلاثة مرت على الفتى (عبده بك) فما صادف نجاحا في الاول ولا الثاني ، لان الوسائل التي اتخذت فيهما وسائل حقيرة .

ولعل الدكتور اراد بهذه القصة ان يعلم الناس على الطريقة الحديثة — كيف يعنون بانتقاء الزوجات لتسلم حياة الاسرة المصرية من الاختلال ، ولتنجو البيئة العائلية من خطر الخلاف والانحلال .

ونحن في الحقيقة محتاجون الى أمثال هذه القصص ، ولا سيما ما كان منها مصوغا في مثل هذا القالب الأخاذ ، وحسبنا بذلك دروسا سهلة التعاطي »

* * *

ونشرت صحيفة (الايجبشيان غازيت *The Egyptian Gazette*) هذه الكلمة بقلم الاستاذ الضليع سيرو بك الناقد الادبي المعروف :

" Dr. Ahmed Abu - Shadi has brouhgt out a simple story in the form of an epic poem. He calls it Abdoh Bey, or an Egyptian Social Story, and it is, in fact, a true picture of the evils of marriage among the natives. It is all of the same metre, but the rhyme varies, the same termination being used for every couplet.

Abdoh Bey is the son of a rich father, who died leaaving him to the care of his mother who wanted to marry him. For this purpose she charged an old negress, Halima, who knew many families with marriageable daughters, to seek a wife for her son. This wife was soon found in the person of Munira who belonged to a rich family. This union was, however, unhappy and ended in divorce, not long after the birth of a son.

Abdoh Bey was then induced by some false friends to marry a Christian woman of low class. This marriage was unhappiar than the first, and the dissipation of Mary was disastrous to her husband's fortune. It was natural that this marriage should also end in divorce, but the story ends happily in the warriage of abdoh to Farida, the sister of a true friend.

" The poem is full of philosophical expressions and poetic ideas which would be too long to quote here. The whole poem is written in simple language, very easy to read from one end to the other.

" As an appendix to this poem, the book contains other short odes by Dr.Abu-Shadi and literary articles by varions writers."

وطن القراعنة

مثل من الشعر القومي

الجزء الاول * عشرون قصيدة وطنية * الثمن ٥٠ مليما ، وبالجملة للمعاهد ٣٠ مليما عن كل عدد

أصداء من آراء الصحف والكتاب

قالت جريدة (كوكب الشرق) الغراء:

وصل الينا من الاستاذ النابغة أحمد زكي أبي شادي كتابه المسمى (وطن القراعنة) فأعجبنا جداً هذا الكتاب الفريد في بابه ، حيث جمع من مختارات الاستاذ آيات بينات في الشعر القومي ، مراعياً فيه جزالة اللفظ وحسن الاسلوب .

ولقد أصاب الاستاذ في تأليفه هذا الكتاب ، اذ قصد منه بث الروح الفنية في النفوس . وان (الكوكب) ليشكر للاستاذ خدمته للعلم والادب مسجلا له ذلك في صفحات التاريخ الادبي.

هذا مع العلم بأن الكتاب مطبوع طبعاً متقناً على ورق صقيل ، وتعميما للفائدة التي يرمي اليها مؤلفه قد جعل ثمن العدد ٥ قروش صاغ . وهو يطلب من جميع المكاتب الشهيرة . »

***

وقالت مجلة (النهضة المسائية) الغراء :

« طائفة صالحة من الشعر القومي تمثل الروح المصرية الحاضرة أصدق تمثيل ، وروح جديد يسبح في عالم رائع من الخيال ، ويقف عند كل حادث دقيق أو جليل فيصفه أجمل وصف . ذلك هو الجزء الاول من (وطن الفراعنة) الذي جادت به قريحة الشاعر المجيد الاستاذ الدكتور أحمد زكي أبو شادي بك فجدير بكل محب للادب أن يقتني هذا الكتاب الجليل . ونتمنى للدكتور الشاعر أجزاء وأجزاء متوالية » .

***

وكتب الشاعر المتفنن الاستاذ ابراهيم بك زكي :

« وصلني كتابك (وطن الفراعنة) في وقت كثرت فيه شواغلي ، فلم أتمكن من قراءته كتلة واحدة بل كنت أتحين الفرص واطالع فيه في فترات فاشاهد من خلال بعض قصائده صوراً بديعة الالوان جمة النقوش والتهاويل ، وأشيم من بين أبياته نفحات طيبة من روح أبية وفؤاد ذكي . وأخيرا قرأته على مهل ، فاذا بما شاهدت وما شممت ماثل أمام عيني لا يبرحها ومالىء نفسي بكل اعجاب ، وأخص بالذكر من بين قصائدك قصيدة (رأس البر) وقصيدة (وادي الملوك) . واني أنتهز هذه الفرصة لشكرك الخالص ، وأرجو أن لا يكون نصيبي الحرمان من زكي نفحاتك وأن تذكرني في كل عمل جديد ، كما أرجوك أن تنوب عني في شكر صديقنا الاستاذ حسن صالح الجداوي لكتابه النفيس (الادب الجديد) . كلل الله جهوده بالنجاح في تلك السبل الوعرة التي تحتاج الى سعي متواصل » .

***

وكتب فضيلة الاستاذ الأديب القدير الشيخ محمد ناصف :

« وصلني كتابك فأثلجت به نفسي وأجذلت فؤادي ، فتلقيته بكل احترام ، وودت لو أستطيع ببناني وصف امتناني ، وهيهات أن أجد لذلك سبيلا . . . ».

***

وكتب حضرة الكاتب الشهير المفكر الاستاذ الدكتور أبي طائلة المحرر بجريدة (البلاغ) الغراء :

« . . . . (وطن الفراعنة) منال لما يجب ان يحفظه الطلبة من الشعر القومي الذي يبعث روح الوطنية في نفوسهم ، وهو جدير بأن يقرأه كل مصري يحب بلاده » .

***

وكتب الاستاذ الدكتور جاير من جامعة ڤينا :

« منذ أسابيع قليلة تكرمت علي بالجزء الاول من كتابك (وطن الفراعنة) فكانت مجموعة شعره درساً شائقاً لي ، نظرا لخفتها الشعرية وعواطفها القومية . وان الحماسة التي استوحيتها من مشاهدة هذه الآثار التاريخية لوطنك والتي أكسبتها هذه التعابير البليغة لتنبث في نفس القارىء متسلطة ، وتحيي الامل السارق المستقبل العظيم لبلاد تحب هذا الحب عند ابنائها . فأرجو اليك ان تتقبل مع شكري الجزيل تهنئتي الصادقة بعملك » .

***

وقالت مجلة (فتاة الشرق) الغراء :

« هو مؤلف شعري لمحضرة الكاتب الشاعر احمد بك أبي شادي انشأه لفائدة الناشئات والناشئين في المدارس الثانوية . راعى فيه الايجاز المجدي وسلاسة التعبير تسهيلا للحفظ وتشويقاً الى الموضوع » .

***

وقالت مجلة (الهلال) الغراء :

« وطن الفراعنة ـ مثل من الشعر القومي للنابغة الاديب الدكتور أحمد زكي ابي شادي، يحتوي على قصائد غناء عن موضوعات مصرية مثل رأس البر وعيد النيروز ووادي الملوك والاسفنكس وليالي رمضان والاهرام وراعي الغنم . والاستاذ زكي ابو شادي في طليعة النهضة المصرية يعمل لرقيها وتقدمها » .

البناية الحرة

خطرات عن الماسونية

من وضع الاستاذ

الدكتور أحمد زكي ابي شادي

ثمن العدد خمسون مليما ، وأجرة البريد نصف قرش

نظرات نقدية
في
شعر أبي شادي
مع تعقيب بقلم الناشر

حسن صالح الجداوي

فيتالسيه في الثانوية (باريز) وعلوم تجارة مدنا (ليون) ملتحق صحيفة « السويس التاعشة »

المطبعة السامية ومكتبتها ٥ ٢٣١ صفحة ٥ الثمن : عشرة قروش مصرية

نشرت صحيفة (الاجبشيان غازيت ـ *The Egyptian Gazette*) هذا الفصل الأدبي عن الكتاب من قلم الاستاذ العلامة سقراط سبيرو بك بتاريخ ٧ سبتمبر سنة ١٩٢٦ :

A POET CRITICISED AND VINDICATED.

AHMED ZAKI ABU-SHADY,

(By S. Spiro Bey)

Dr. Ahmed Zaki Abu-Shady is one of the most brilliant Egyptian poets of the younger generation. He is the son of the late Mohamed Abu-Shady Bey,

who was a distinguished member of the Cairo Bar. Having obtained his primary and secondary certificates in Egypt, he studied medicine in England, specialising in bacteriology, and is now employed under the Government as head of the bacteriological labortory in Suez. Yet, he is a born poet, as his poetical works abundantly testify. In 1909 he happened to read Professor Bradely's lecture on " Poetry for Poetry's sake " which stimulated in him the desire to study English literature in general and poetry in particular, and to compare English poetry with Arabic, in which more attention is paid to the resonance of words than to sense.

Among Dr. Abu-Shady's poems is one entitled " Anin wa Ranin " or " Groans and Echo " which the literary critic of "Al-Moaddib" has analysed exhibiting its weak points; in fact, he says that his remarks are limited only to the best verses, the rest being on the same level as the efforts of ordinary versifiers. He then goes on with his self-imposed task, and in no less than forty pages of the book before me he deals the poet one blow after the other. As a specimen of his criticism I quote only one instance : Says Dr. Abu-Shady in the above poem: " Yearning groans for a time, the happiness of which vanished [ta walla] as a mirage". His critic says that the poet should have said appeared [tabadda] , and goes on to give his reasons. Hassan Effendi Sahleh Al-Geddawy, licenciate in law and Secretary to the Dean of the Faculty of Law in the Egyptian University, has, in a book entitled " Nazarat Nakdia " or " Notes on

criticism " reproduced the article of the anonymous critic of " Al-Moaddib " and taken up the cudgels for the poet, showing that he was right in every case. " This criticism " says Saleh Effendi, " is mostly superficial, as the writer considers only the word, and rarely soars with the poet's imagination ; moreover he criticises sense and construction which were not meant by the poet „ .

ARABIC LITERATURE.

The book is, however, not entirely taken up by the poems of Dr. Abu-Shady, but comprises several chapters on Arabic literature, and particularly the Arabic language, which latter subject is of vast importance to one who has dedicated long years of his life to the defence of what was formerly called colloquial orvulgar Arabic, and which he has called by the more respectable name of Modern.

In a chapter on National literature, Abdul-Aziz Effn. Abdul-Hak says that " the Arabs are now going through a stage traversed by the provinces of the Roman Empire after the invasion of the Barbarians who spoke a dialect of the Latin language ; thus Latin literature, in the middle ages, was hardly known to the masses. Later, in the time of the Renaissance, people wroe tin the language of the masses owing to the development of the sense of nationality in these provinces „ .

Going on to speak of the Arabic language, the writer says that the Arabs write one language and speak another, and that " if we spoke one language, if we followed the law of evolution, the two langua-

ges would become one, but this dream cannot be easily realised on account of the impediments placed in the way by the Azharites, who sacrifice their Egyptian nationality on the altar of their religious fervour . . . are these Azharites Arabs or Egyptians?" asks the writer.

Speaking of Modern Arabic, he says that " it is our national language and that it is not subject to the rules of the grammar of the classical tongue, but is a simple refined picture of the classical, fit for our use and consequently should live. The word *kamân* is sweeter than *aydan* (also, *fên* easier than *ên* [where] , *lissa* better than *lis sâha* [yet]. The advantage of the modern language is not limited to its simplicity and sweetness, but because we use it for almost every purpose of our life, and if the classical was not studied in schools and the language of the newspapers, and if it was not used in our religious affairs, we would have no need for it . Owing to this vast difference between the classical and the modern, boys hate their schools and lose much precious time : if they were taught at school the language their mothers taught them to speak, they would love their schools and their lessons ".

Looking at the question from another point of view, our writer says that " as it is not easy to destroy the classical, it is equally difficult to destroy the modern : the samallest of these difficulties will therefore decide the fate of the other. As almost all the European languages were originally colloquial, and as there can be no relation between religion and language, and as for various reasons we cannot adopt the

modern tongue, we should unify our language by spreading education".While agreeing with the writer that it is impossible to wipe out a language spoken by so many millions, I venture to disagree with him on the revival of the classical by the means he speaks of. The fact of the matter is Modern Arabic, which was not written] fifty years, has had more than one periodical, and is makingags lsteady progress towards replacing the classical, as I have on serveral occasions pointed out in these columns.

I must thank Abdul-Aziz Effendi for his courage in speaking so plainly on the subject of the classical and the modern, and recommend his chapter to those purists whose dream is to see the masses one day speak in the language of the Sevon Suspended poems.

The book has for frontispiece a reproduction of a painting in oils of Dr. Abu-Shady made by the noted Egyptian Artist Mohamed Hassan, which hangs in the APIS CLUB in England. It is well printed at the Salafia Press, Cairo.

مؤلفات أبي شادي

وما كُتب عنه

	ص
نكبة نافارين (قصيدة قومية تاريخية)	٣
زينب (شعر غنائي)	٣
مصريات (نخب من شعر الوطنية)	٥
أنين ورنين (صور من شعر الشباب)	١٥
شعر الوجدان (مختارات شعرية)	١٠
مفخرة رشيد (قصيدة قومية تاريخية)	٥
انهاض تربة النحل في مصر (خطبة مصورة)	٣
نظرات نقدية في شعر ابي شادي	١٠
وطن الفراعنة (مجموعة من الشعر القومي)	٥

	ص
عبده بك (قصة شعرية)	٣
مها (» »)	٥
الأدب الجديد (كتاب نقدي نفيس)	٥
روح الماسونية	٥
البناية الحرة	٥
الشفق الباكي (ديوان شعر تحت الطبع)	٢٠
احسان (أوبرا مصرية تحت الطبع)	٥
كلمات ضائعة (مؤلف لغوي تحت الطبع)	٥
مباديء الأبقلطوريا (تحت الطبع)	١٥

تضاف اليها اجرة البريد وتطلب من :

المطبعة السلفية - ومكتبتها

بشارع الاستئناف بجوار المحافظة بالقاهرة

تصحيح

خطأ	صفحة	سطر	صواب
ما حولها	٩	٥	حولها
فحياه	١١	٦	وحياه
قفز	١٥	٥	وثب
يحتمله	١٧	٥	كان يحتمله
الشريفِ	٢٤	٦	الشريفُ
من	٣٢	٥	عن
أستفاقت	٣٩	١١	استفاقت
حمالها	٥١	٢	جمالها
أ كسب	٨٤	٧	أ كسب رقةً
Softty	٨٤	١٧	Softly
لتذيب	٩٠	٨	لتهذيب

﴿ ثمنُ العدد خمسون مليماً ﴾

المطبعة السلفية - بمصر

نسخ المخطوطات القديمة والكتابات الأثرية والمستندات المهمة
بالفوتوغراف

في

دار المطبعة السلفية

ومكتبتها

بالقاهرة

تصوير سريع ومتقن

بأسعار معتدلة

*PB-33806-SB
75-31T
CC

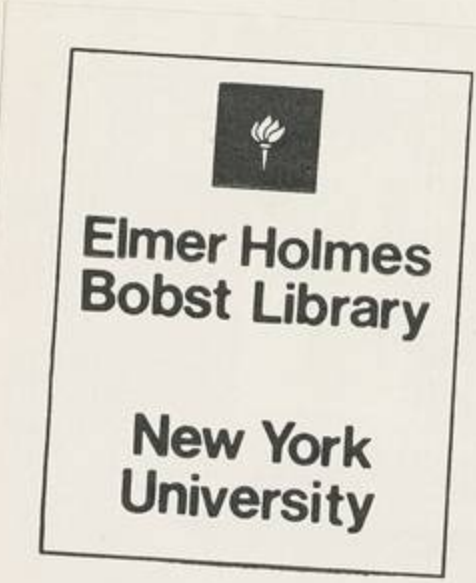
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

NYU - BOBST
31142 01242 5982
PJ7808.S5 M3 1926
Maha :

PJ
7808
.S5
.M3
1926
c.1